كنوز الحكمة

مختارات من كلام الحكماء والأنبياء

السيد أبو ضيف المدني

كنوز الحكمة

مختارات من كلام الحكماء والأنبياء

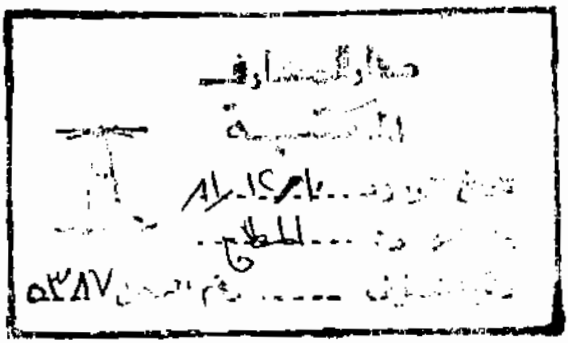
دار المعارف
المكتبة
المطبع
رقم الجرد ٥٣٨٧

دار المعارف

تصميم الغلاف : شريفة أبو سيف

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج . م . ع .

المحتويات

الصفحة

تقديم ٩
تمهيد : فى الحكمة والعقيدة والأخلاق . . ١١
لقمان ٣٥
هرمس ٤١
زرادشت ٤٧
بوذا ٥٢
كونفشيوس ٥٧
هوميروس ٦١
سولون ٦٤
زينون ٦٧
بقراط ٧٠
ديمقريطس ٧٤
سقراط ٧٧
أفلاطون ٨٢
أرسطو ٩٤
ديوجين ١٠٠
ثاوفراسطوس ١٠٥
إقليدس ١٠٧
الإسكندر ١١٠
عبرة الحياة والموت ١١٣
بطلميوس ١١٥
المسيح عليه السلام ١١٧
محمد صلى الله عليه وسلم ١٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ، وما يذكر إلا أولوا الألباب .

« قرآن كريم »

تقديم

ها هنا كنوز الحكمة ، فتعالوا أيها المحبون للحكمة ، نملأ أيدينا من الدر والياقوت والجوهر .

ها هنا أنهار ماء حي ، فتعالوا أيها الصادون ، نبلل صدى نفوسنا .

ها هنا أنهار ماء حي ، فهلموا أيها العطاش ، نرطب جفاف قلوبنا .

ها هنا معمودية الحكمة ، فهيا نتخفف من أوزارنا ، ونتطهر من أوضارنا .

ها هنا ينابيع الحكمة ، فهيا نشرب ونرتوى ، فبحق أقول لكم ما قال نبي الله عيسى بن مريم : إن من يشرب من هذا الماء لن يعطش إلى الأبد .

تمهيد

فى الحكمة والعقيدة والأخلاق

يقول الرسول ﷺ « الحكمة ضالة المؤمن » ويقول الإمام علىّ كرّم الله وجهه « أجمّوا هذه القلوب ، والتمسوا لها طرائف الحكمة ، فإن القلوب تملّ كما تملّ الأبدان » .

فما مفهوم الحكمة ؟ وما أقسامها ؟ وما مكانتها ؟ وما صلتها بالعقيدة والأخلاق ؟

الحكمة هى الفضيلة العليا التى يحقق بها الإنسان إنسانيته ، وبها يستشرف إلى عالم أرقى وأسمى من هذا العالم الذى نعيش فيه .

وكفى بالحكمة شرفا أنها هبة الله يؤتيها من يشاء من عباده ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا .

وفى كل أمة ذات حضارة يظهر حكيم أو حكماء من أبنائها يلخصون الأنماط الخلقية لأمتهم ، ويرسمون لها طريق الخير والسعادة ، ويحددون المبادئ والقيم الفاضلة النبيلة .

وقد اشتهر من هؤلاء الحكماء كنفوشيوس فى أمة الصين القديمة ، وزرادشت فى فارس ، وبوذا عند الهنود ، وسقراط وأفلاطون وأرسطوطاليس عند اليونان القدماء .

ولما كانت الحكمة بهذه المنزلة وهذا السمو ، وكان الحكماء فخر أمتهم وشرفها ، وجب علينا أولا أن نتفهم معنى الحكمة ، وأن نوضح عناصرها وأقسامها .

مفهوم الحكمة :

إذا أردنا أن نلخص معنى الحكمة فى عبارة موجزة قلنا : إنها معرفة الحق وعمل الخير ، ولكن هذا التلخيص لا يغنى عن التوضيح .

ولتوضيح معنى الحكمة نرجع إلى أصل اشتقاقها فى اللغة ، فنجد فى اللغة : أحكم الأمر بمعنى ضبطه وأتقنه ، واستحكم الأمرُ صار متقنا متينا مضبوطا ، ويقال : حكم الفرسَ أى جعل للجامه حكمة (بفتح الحاء والكاف) وهى الحديدة التى توضع فى حنك الفرس من اللجام .

فالحكمة تفيد الضبط والإتقان والإحسان ، ثم استخدمت فى معنى ضبط أحوال النفس وأهوائها ورغباتها ، قال الشاعر :

ابدأ بنفسك فانهها عن غيّها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فالحكمة هى حفظ النفس من القبائح ، وتطهيرها من المنكرات أولا ، ثم التحلى بالفضائل ، وقد فسرها صاحب القاموس بأنها العدل والإحسان والعلم والحلم والنبوة والقرآن والإنجيل .

والدليل على أن الحكمة تتضمن الفضائل السلبية والفضائل الإيجابية قوله سبحانه وتعالى بعد ذكر طائفة من الأوامر والنواهى :

(ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة)

وهذه هى الحكمة الخلقية .

وقد تكون الحكمة بمعنى الحذق والمهارة وحسن الرأى وإحكام التدبير والنظر فى عواقب الأمور ، وهذه هى الحكمة العقلية ، وقد تكون الحكمة بمعنى المعرفة والعلم والخبرة والبحث عن الحقيقة وإدراك كل شىء على حقيقته ، أو كما يقول سقراط « تمام العلم وكمال المعرفة » وهذه هى الحكمة العلمية .

فالحكمة العلمية تؤخذ عن طريق العلم ، فإذا طبقت فى مجالات السلوك والعمل كانت حكمة عملية ، أو حكمة خلقية .

والحكمة الخلقية هى ذروة الفضائل ، وقد عرفها الحكماء بأنها حال أو فضيلة فى النفس العاقلة ، بها تسوس القوة الغضبية والقوة الشهوية ، وتقدر حركاتهما بالقدر الواجب فى الانقباض والانبساط ، وهى العلم بصواب الأفعال .

والحكمة الخلقية على هذا الرأى تتوسط بين رذيلتين هما : الخِبّ والبله ، فالأول طرف الإفراط والإسراف ، والثانى طرف التفريط والنقصان .

أما الخب فحال يكون فيها الإنسان ذا فكر وحيلة ودهاء ومكر ، فتتحرك القوة الغضبية والقوة الشهوية حركة زائدة عن الحد وتتجاوز المطلوب .

وأما البله فحال للنفس تقصر فيها القوتان : الغضبية والشهوية عن القدر الواجب ، ويندرج تحت البله ، الغمارة وهى قلة التجربة ، والحمق وهو فساد النظر فيما يؤدى إلى الغاية المطلوبة ، وبطء الفهم ، وقلة الإحاطة بصواب الأفعال .

الفرق بين الحكمة والفلسفة :

وينبغى هنا أن نبين مدى الاتفاق والاختلاف بين كلمتى : الحكمة والفلسفة فالحكمة – كما رأينا – كلمة عربية أصيلة ، أما كلمة الفلسفة فهى كلمة يونانية

عرّبها العرب أيام حضارتهم ونهضتهم فى العصر العباسى حينما انفتحوا على الحضارات المختلفة ، ومنها الحضارة اليونانية القديمة .

وهى فى الأصل اليونانى مؤلفة من كلمتين هما « فيلا » بمعنى محبة و « سوفيا » بمعنى الحكمة ، فالفلسفة معناها محبة الحكمة ، والفيلسوف معناه محب الحكمة ، أى من يجعل وكده فى الحياة وغرضه من عمره الحكمة .

ويقال إن سقراط تحرج أن يسمى باسم الحكيم ، وقال : إن الحكيم هو الله تعالى ، أما هوميروس وسولون وسائر الشعراء والمشرعين والخطباء فأطلق عليهم أنهم فلاسفة أى محبون للحكمة .

ويقول الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق « كثيرا مانجد فى كتب مؤلفى العربية وضع الحكمة والحكيم مكان الفلسفة والفيلسوف ، وبالعكس . وعبروا بحكماء الإسلام وفلاسفة الإسلام » .

ولكن الفلسفة قد تطورت فى معانيها حتى أصبح مفهومها البحث النظرى المجرد ، وانفصلت فى بعض الأحيان عن معناها الخلقى الذى هو جزء لايتجزأ من مفهوم الحكمة .

وظلت كلمة الحكمة العربية تحافظ على المعنيين العلمى والخلقى ، ومازلنا بحسنا اللغوى نطلق على الطبيب لفظ « الحكيم » لأن الطبيب يعالج المرضى بالحكمة أى باللين والرفق واللطف .

وعلى كل حال فقد وجد الحكماء من قديم الزمان ، قبل أن يوجد الفلاسفة الذين أغرقوا فى التصورات الذهنية المجردة ، لأن الحكمة تفكير أخلاقى ، والتفكير الأخلاقى سابق على التفكير العقلى ، وعلى هذا فالحكمة هى أول صورة

من صور التفكير ، العقلى الفلسفى المجرد عند الفلاسفة ولكنها حين تصدق بتأييد الشرع لها تكون هى الفلسفة العليا .

فلسفات ملحدة :

وعلى هذا فليس من الحكمة تلك الآراء المشئومة التى تنادى بأن أعلى مقاصد الإنسان أن يحقق الخير واللذة لنفسه ، دون النظر إلى مايصيب الآخرين من أذى وضرر ، وأن غاية الإنسان أن يحقق السعادة لنفسه بإرضاء شهواته وملذاته ، ولن يتحقق هذا إلا بطريق القوة والغلبة وسحق الآخرين ، فالأقوى له الحق أن يستأثر ويحوز بقدر ما تحقق له قوته ، وتسمى هذا الحق بالحق الطبيعى ، وهى فلسفة أفرزتها مجتمعات مقفرة من القيم ، تنادى بأن البقاء للأقوى ، والقوة سند شرعى للحصول على المنافع .

أما العدل والعفة والرحمة والعطف فهى فى نظرهم رذائل إنسانية اخترعها الضعفاء ، ليغطوا بها ضعفهم أمام الأقوياء ، وهى فى نظرهم كلمات جوفاء ، وحيل لفظية يحمى بها الجبناء أنفسهم من بأس الأقوياء وسطوتهم .

يقول أصحاب هذا المذهب :

« إن الأخلاق ليست إلا اختراع الضعفاء ، لكى يقيدوا بها سلطان الأقوياء ، فلنكن حربا على الأخلاق . يجب أن نحطم هذين القيدين تحطيما : قيد العادل والظالم حسبما جاء فى القانون الموضوع ، ولنتخط فى نظرنا للأشياء ذلك الخير وذلك الشر . يجب أن نترك العنان لطبيعتنا المطلقة . يجب أن يكون لنا من الجسارة مابه نحيا حياة حرة سافرة ، وفى وضح النهار . وإذا ما اقتضى ذلك أن نسير فوق طريق من الجماجم ، فعلينا أن نسحقها بأقدامنا دون أن

يتحرك ضميرنا بملام ؛ يجب أن تكون لنا قلوب قاسية . يجب أن نرسل صرخة الحرب دون وجل أوندم فى وجه مصطلحات العالم ومصطلحات أخلاق القطيع ».

هذه هى فلسفة الملحدين الماديين الذين لايؤمنون بالله ولابالیوم الآخر ، لايؤمنون بإله قادر مسيطر على هذا الكون ، ومادامو لايؤمنون بإله ، ولايتدينون بدين ، ولايؤمنون بجزاء ولاثواب ولاعقاب ، فمن الطبيعى أن يسقطوا قواعد الأخلاق ، وينفوها من حياتهم .

إن قانون العدل قانون طبيعى ، فمن غير المعقول أن يستوى الطيب والخبيث . ليس من المعقول أن يقدم ذو خلق قويم على عمل من أعمال البطولة والتضحية دون أن ينال على عمله أجرا أو مكافأة !

أو قد وجدنا عبثا فى هذه الحياة ؟ !

وهل يمضى الظالم بظلمه دون عقاب ؟ !

هل خلود الروح مجرد صدى لآلامنا وآمالنا ، ومخاوفنا وأحلامنا ؟ !

هل إمكانية البعث أعجب من إمكانية الخلق والحياة ؟ !

أليس عجيبا أن خلقنا من نطفة ؟ !

أليس عجيبا هذا العقل الذى أودع فينا ؟ !

أليس عجيبا هذا النور فى أبصارنا ؟ !

أليس عجيبا كل شىء نتأمله ونفكر فيه ؟ !

الله موجود ، والجزاء ينتظرنا يوم الدين ، (يوم يقوم الناس لرب العالمين) (يوم لاتملك نفس لنفس شيئا ، والأمر يومئذ لله) .

الخير والشر فطرة فى الإنسان :

الخير هو كل عمل نافع مفيد يقدمه الإنسان ، فهو كلمة جامعة تندرج تحتها جميع الفضائل والأخلاق الطيبة الحميدة ، والشر ضد الخير ، وهو كل عمل من شأنه أن يؤذى ويضر ، وفكرة الخير والشر مركوزة فى فطرة الإنسان ، وليست وليدة الغرائز الإنسانية كما يزعم الماديون من أنصار مذهب اللذة .

والدليل على فطريتها أننا نجدها موجودة فى جميع الأمم ، وليست مقصورة على الأمم الراقية المتحضرة ، بل إننا نجدها فى الحيوان الأعجم الذى لاينطق ولا يعقل .

أرأيت إلى القطة أو الكلب ، كيف يحتال كل منهما على اختطاف قطعة لحم فى توجس وخفية ؟ ألا يدل هذا على وجود حاسة خلقية أو نوع من الشعور أنهما يرتكبان إثما يستحقان عليه العقاب ؟

والإسلام يقرر وجود هذه الفكرة فى طبيعة الإنسان ، ويحدثنا القرآن الكريم عن : « النفس المطمئنة » والنفس اللوامة « والنفس الأمارة بالسوء »

وفى قصة ولدى آدم (هابيل وقابيل) مايدل على معرفة الإنسان للخير والشر بأصل الفطرة والإلهام من الله تعالى ، فحينما همّ قابيل بقتل أخيه ، لم يقابله هابيل بالمثل ، بل قال له (لئن بسطت إلىّ يدك لتقتلنى ماأنا بباسط يدى إليك لأقتلك ، إنى أخاف الله رب العالمين) ولكن قابيل الشرير لم يرتدع ، ونفّذ جريمته المنكرة (فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله ، فأصبح من الخاسرين)

ويسمى العلماء هذه المعرفة الحاسة الأخلاقية أو الضمير ، وهو ما أطلق

عليه القرآن اسم « النفس اللوامة » يقول الله سبحانه وتعالى عن الإنسان (وهديناه النجدين) والنجدان هما نجد الخير ونجد الشر ، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ حين سئل عنهما .

ويقول تبارك اسمه (ونفس وماسواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها) .

حقا ، فى الإنسان غريزتان هما مناط سلوكه وأفعاله الظاهرة التى تتولد من صورة نفسه الباطنة ، وهما غريزتا المحافظة على النفس والمحافظة على النوع ، اللتان يشترك فيهما الإنسان مع الحيوان ، ولكن الإنسان قد كرمه الله بالعقل الذى يضبط به وسائل إشباع هاتين الغريزتين ، فلا يجنح إلى المبالغة والإسراف فى إرضائهما على حساب تعاسة الآخرين وشقائهم .

من أجل هذا نشأت الحكومات ، وسنت القوانين للمحافظة على الحد الأدنى من الأخلاق ، وهو حدّ لايستمر مجتمع فى البقاء بدونه ، ولكن القوانين الوضعية لاتكفى فى هذا الباب ، ولقد ثبت فشلها فى إرساء دعائم الأخلاق ، فالقوانين – كما قيل – ماوضعت إلا لتخرق ، فالقوانين يحتال عليها بشتى الحيل ، إن القوانين لتحتاج إلى حراس وشرطة ومحاكم وقضاة ، وإن القوانين لتنتهك فى السر والخفاء . أما القوانين السماوية فإن الإنسان المؤمن يلتزم بها فى السر والجهر على السواء ، لأن للدين سلطاناً وازعًا يقوم عليه ويحرسه حيث لاحرّس ، ولاعيون تراه .

ونظرة إلى الوصايا التى جاء بها موسى ، والتعاليم الخلقية التى أتى بها عيسى ، ومكارم الأخلاق التى بعث محمد ﷺ ليتمها نظرة واحدة إلى هذه التعاليم السماوية ترينا كيف تتضافر الديانات السماوية وتتحد فى ضرورة التمسك

بالفضائل على مستوى الفرد ، وعلى مستوى الأمة ، وعلى مستوى الإنسانية بأسرها .

فالأديان السماوية جاءت برقى الإنسان إلى أعلى درجات السلم الأخلاق .

الأخلاق فى الديانات :

فالتوراة – برغم تحريفها – توصينا بهذه الوصايا :

« أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض » .

« لاتقتل ، لاتزن ، لاتسرق ، لاتشهد على قريبك شهادة زور ، لاتشته امرأة قريبك ولاعبده ولاأمته ولاثوره ولاحماره ، ولاشيئا مما لقريبك »[1] .

« لاترتكبوا جورا فى القضاء ، لافى القياس ولافى الوزن ولا فى الكيل » .

« إذا افتقر أخوك وقصرت يده عندك فاعضده غريبا أو مستوطنا فيعيش معك ، لاتأخذ منه ربا ولامرابحة ، بل اخش إلهك ، وتحبه كنفسك » .

ومن التعاليم التى جاءت بها الأناجيل المسيحية على لسان المسيح عليه السلام :

« قد سمعتم أنه قيل للقدماء : لاتقتل ، ومن قتل يكون مستوجب الحكم ، وأما أنا فأقول لكم : إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم » .

« قد سمعتم أنه قيل للقدماء : لاتزن ، وأما أنا فأقول لكم :

إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه » .

---

(١) من التحريف فى هذه الوصايا أنها جاءت مستوحاة من مفتريات اليهود على الله وأنهم شعب الله المختار ، فكانت شريعة الله كما يزعمون – تجعل لهم مكانًا عاليا على الناس .

« أيضا سمعتم أنه قيل للقدماء : لاتحنث ، بل أوف للرب أقسامك ، وأما أنا فأقول لكم : لاتحلفوا البتة . . بل ليكن كلامكم نعم نعم لا لا » .

« سمعتم أنه قيل للقدماء عين بعين ، وسنٌّ بسنّ ، وأما أنا فأقول لكم : لاتقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن ، فحوّل له الآخر أيضا ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا » .

« سمعتم أنه قيل تحب قريبك ، وتبغض عدوك ، وأما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم »

« احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكى ينظروكم ، وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السموات ، فمتى صنعت صدقة فلا تصوّت قدّامك بالبوق كما يفعل المراءون فى المجامع وفى الأزقة ، لكى يمجدوا من الناس .الحقّ أقول لكم : إنهم قد استوفوا أجورهم ، وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ماتفعل يمينك ، لكى تكون صدقتك فى الخفاء ، فأبوك الذى فى الخفاء هو يجازيك علانية » .

« ويل لكم أيها الكتبة الفريسيون المراءون ، لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون ، وتركتم أثقل الناموس ، الحق والرحمة والإيمان » .

« ويل لكم أيها الكتبة الفريسيون المراءون ، لأنكم تشبهون قبورا مبيضة ، تظهر من خارج جميلة ، وهى من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة » .

« لا تكتزوا لكم كنوزا على الأرض ، حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون ، بل اكتزوا لكم كنوزا فى السماء ، حيث لايفسد سوس ولاصدأ ، وحيث لاينقب سارقون ، ولايسرقون ، لأنه حيث يكون

كنزك هناك يكون قلبك أيضا » .

« لايقدر أحد أن يخدم سيدين ، لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر ، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر . لاتقدرون أن تخدموا الله والمال » .

« الحق أقول لكم : إنه يعسر أن يدخل غنى إلى ملكوت السموات ، وأقول لكم أيضا : إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله »

« ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان » .

« لذلك أقول لكم . لاتهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ، ولا لأجسادكم بما تلبسون ، أليست الحياة أفضل من الطعام ، والجسد أفضل من اللباس ؟ انظروا إلى طيور السماء ، إنها لاتزرع ولاتحصد ، ولاتجمع إلى مخازن ، وأبوكم السماوى يقوتها ، ألستم أنتم بالحرىّ أفضل منها – ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعا واحدة ؟

ولماذا تهتمون باللباس – تأملوازنابق الحقل كيف تنمو ؟ لاتتعب ولاتغزل ، ولكن أقول لكم : إنه ولاسليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها ، فإن كان عشب الحقل الذى يوجد اليوم ويطرح غدا فى التنور يلبسه الله هكذا ، أفليس بالحرى جدا أن يلبسكم أنتم ياقليلى الإيمان ؟ »

« لاتدينوا لكى لاتدانوا ، لأنكم بالدينونة التى بها تدينون تدانون ، وبالكيل الذى به تكيلون يكال لكم ، ولماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك ، وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفطن لها »

« ادخلوا من الباب الضيق ، لأنه واسع الباب ، ورحب الطريق الذى يؤدى إلى الهلاك ، وكثيرون هم الذين يدخلون منه ! ما أضيق الباب وأكرب

الطريق الذى يؤدى إلى الحياة ! وقليلون هم الذين يجدونه ! » .

« اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق ، فإنى أقول لكم : إن كثيرين سيطلبون أن يدخلوا ، ولا يقدرون ! »

« من أراد أن يصير فيكم عظيما يكون لكم خادما ، ومن أراد أن يصير أولا يكون عبدا للجميع » .

« كل من يرفع نفسه يتضع ، ومن يضع نفسه يرتفع »

« الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح ، والإنسان الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر ، فإنه من فضلة القلب يتكلم فمه » .

« لأنه ما من شجرة تثمر ثمرا رديا ، ولا شجرة ردية تثمر ثمرا جيدا ، لأن كل شجرة تعرف من ثمرها ، فإنهم لا يجتنون من الشوك تينا ، ولا من العليق عنبا » .

« كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا — ولكن من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد ، بل الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية » .

ويقول القرآن الكريم ، كتاب الله الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، مبينا القبائح والمنكرات التى يجب اجتنابها والفضائل التى يجب التمسك بها يقول فى سورة الأنعام :

(قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين إحسانا ، ولاتقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ، ولاتقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطن ، ولاتقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ذلكم وصّاكم به لعلكم تعقلون . ولاتقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشدّه ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفسا إلا وسعها ، وإذا

قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون)

ويقول فى سورة الإسراء :

(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا . ربكم أعلم بما فى نفوسكم ، إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا . وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ، وإما تعرضنّ عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ، ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا . إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، إنه كان بعباده خبيرا بصيرا ، ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ، إن قتلهم كان خطئا كبيرا . ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليّه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا ، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشدّه ، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا . وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ، ذلك خير وأحسن تأويلا . ولا تقف ماليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ، ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا . كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ، ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ، ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا)

وفى وصف المؤمنين الصالحين يقول الله تبارك وتعالى :

(قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين) .

وفى العفو والتسامح والصفح يقول جل جلاله فى سورة فصلت :

(ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين . ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولىّ حميم . وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) .

وفى وصف المؤمنين يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة الشورى :

(والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون . والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون . والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون . وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، إنه لا يحب الظالمين)

وفى وصف عباد الرحمن يقول الرحمن جل جلاله :

(وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما . إنها ساءت مستقرا ومقاما والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما . والذين لايدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا . إلا من تاب وآمن

وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما . ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا . والذين لا يشهدون الزور وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراما . والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخرّوا عليها صما وعميانا . والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقين إماما . أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما . خالدين فيها ، حسنت مستقرا ومقاما)

هذا هو المنهج الإسلامى للتربية السليمة والأخلاق القويمة . وهذه هى تعاليم السماء كما نزلت على الرسل والأنبياء ، وإن التكاليف فى الإسلام لتتجمع وتتلاحم وتتشابك ، فلا فاصل فى الإسلام بين عباداته وعقائده ، ومعاملاته وآدابه وأخلاقه ، وانظر كيف مزج القرآن بينها فى آية واحدة حيث يقول الله جل وعلا :

(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) .

أزمة أخلاقية :

وأساس الأخلاق فى الإسلام الرحمة والمحبة ، والله سبحانه وتعالى هو الرحمن الرحيم . والرحمن والرحيم اسمان من أسماء الله الحسنى ، وقد أثنى الله على المؤمنين لأنهم « رحماء بينهم » ويتواصون فيما بينهم بالحق والمرحمة .

ونبى الإسلام عليه الصلاة والسلام هو نبى الرحمة وهو المبعوث رحمة للعالمين ، وقد تجسدت فى ذاته الشريفة الطاهرة سمات الإسلام وخصائصه ، فكان خلقه القرآن ، كما قالت السيدة عائشة رضى الله عنها ، ومن قبل سمّاه قومه « الأمين » وقد أثنى عليه الله فى كتابه الكريم ، فخاطبه بقوله سبحانه (وإنك لعلى خلق عظيم)

ويقول ﷺ عن بعثته « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ويلخص الدين فى كلمة واحدة هى المعاملة ، فيقول « الدين المعاملة » ويقول « رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا قضى وإذا اقتضى » .

ومن الأسف أن تتلفت حولنا فنجد معين العطف والرحمة قد نضب من القلوب ، وإن المرء ليتأمل فى هذا العصر فيما أصبح عليه غالبية الناس من كلب على الحياة ، وسعار مجنون نحو المادة ، وسعى محموم نحو اللذة والشهوة ، فلا يملك نفسه من الأسى والحسرة ، فإنه أينما تلفت وجد كذبا يملأ الأفواه ، ونفاقا يكسو الوجوه ، وزيفا وباطلا يتزيا بزىّ العصرية والحضارة والتقدم .

وويل من الناس فى هذا العصر الذى اختلت فيه القيم واضطربت الموازين ، لمن تحرر من ذل الشهوة ، أو ابتعد عن السفاسف ، أو رزق القدرة على الاستغناء ، والمقدرة على البذل والعطاء ، وصان نفسه عن مواطن المهانة والذلة ، إنه فى نظر الناس مغفل أبله ، أو متزمت جامد ، متمسك بأفكار بالية عتيقة ، إنه لا يعيش حضارة العصر ، عصر العلم والتكنولوجيا وغزو الفضاء والهبوط على القمر ، والاتصال بالكواكب ، عصر السينما والمسرح والتليفزيون عصر القصص والروايات والمسرحيات والمسلسلات وما تبثه فى روح الشباب من الرخاوة والضعف والتحلل والانحلال .

ومعاذ الله أن نحتقر العلم الحديث ، أو نقلل من ابتكاراته ، ولكن طائفة باعوا أنفسهم للشيطان يختبئون وراء هذه الأجهزة الإعلامية لتدمير الأخلاق وهدم القيم ، فهم لا يفتئون يوعزون من طرف خفي بالتحلل من القيم ، وانتهاب اللذة ، ويوحون إلى الشباب أنه لا حقيقة وراء هذه الحياة ، وأن الإنسان كائن من هذه الكائنات الأرضية ، مثله مثل الزرع ينبت في الربيع ، ويبس في الصيف ، فأجدر به أن يستوفي حظوظه ، وألا يقمع نفسه عن شهوة أو يتعفف عن ظلم وفتك ، أو يترفع عن كذب وعذر ونفاق .

وهكذا أصبحت حياة ذوي الدين والمروءة والشرف هجيرا لافحا ، وصحراء مقفرة ، وأصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر ، كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام .

خطورة التحلل من الأخلاق :

ومما يدعو للعجب أن بعض الناس يقولون : إننا إذا الغينا الأنانية ، أو حددنا السلوك الأخلاق ، وطردنا هذه العواطف التي تريد الأخلاق أن نقضي عليها ، فإننا بذلك نقضي على الصناعة والتجارة ، لأن محركها في تلك الشهوات التي نريد أن نقضي عليها .

وهو قول يكشف عن نظرة مادية ، لا تقيم وزنا للأخلاق وتنظر إلى الإنسان من جانبه الحيواني ، تنظر إلى نصفه الأسفل لا إلى نصفه الأعلى .

وهي نظرة كليلة لا تدرك أن الحضارة الصحيحة والمدنية الحقة لابد لها من دعامتين أساسيتين : دعامة مادية عمرانية ، ودعامة روحية أخلاقية ، فإذا قامت على دعامة واحدة كانت مدنية عرجاء تمشي على ساق واحدة !

وليست الثروة غاية فى ذاتها ، كما ينادى بذلك الاقتصاديون فى الغرب ، وإنما هى وسيلة لإسعاد البشر ، وما تجمعت الثروات وتكدست عند أفراد من الناس إلا بوسائل الاحتكار ، وتضييع الحقوق والواجبات ، ولو حصل كل عامل على أجر يكافئ جهده لأقبل على عمله بجد وإخلاص ، وانتزعت الأحقاد والعداوات .

ولقد جرّ هذا الفهم الخاطئ لوظيفة المال فى الحياة كثيرا من الكوارث والويلات ، فقامت الحروب ، وتأججت النيران ، وشهد العالم حروبا عالمية ومحلية كان لها أوخم العواقب فى حياة الناس فى كل مكان .

وهذه هى خطورة التحلل من الأخلاق ، وفصل الأخلاق عن السياسة والاقتصاد ، هذا على مستوى الأمم والدول والشعوب .

أما خطورة التحلل من الأخلاق على مستوى الأفراد ، فإن انتشار هذه الظاهرة نذير شؤم ووبال ، ولله در شوقى حيث يقول :

وإذا أصيب القوم فى أخلاقهم
فأقم عليهم مأتما وعويلا

وحيث يقول فى قصيدة ثانية :

وليس بعامر بنيان قوم إذا أخلاقهم كانت خرابا

وحيث يقول فى قصيدة ثالثة بيته الذائع :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وصدق شوقى فيما قال ، فما ضاعت الأخلاق فى أمة من الأمم أو فى شعب من الشعوب إلا ذهبت ريحه ، واضطرب أمره ، وأحاطت به المشكلات ، وتأمل فيما يحيط بحياتنا الآن من صور المعاناة والبلاء تجد معظمها يرجع إلى فساد الأخلاق ، وخراب الذمم ، ولا خلاص لنا إلا إذا عدنا إلى قيمنا وأخلاقنا ، ومصداق ذلك فى الحالين قول الله سبحانه وتعالى : (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) ، وقوله تعالى : (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ومالهم من دونه من وال) .

آلام الشهوة والظلم :

وتعالوا بنا ننظر إلى المشكلة بعين الحكمة والعقل والتدبر . إن من يظن أن السعادة فى الشهوة واللذة يخطئ فى حق نفسه قبل أن يخطئ فى حق مجتمعه ، فللشهوة والظلم ردود فعل ضارة بالشخص نفسه ، كما هى ضارة بمجتمعه ، فالشهوة لا تعرف ريًّا ولا شبعا ، وكلما أرضى الشخص شهوته شعر بالحاجة إلى المزيد والاستكثار ، والشعور بالاحتياج شعور مؤلم لا يبعث على السرور أو الارتياح .

ثم إن اللذة موقوتة وسريعة ، وينتاب صاحبها الشعور بالملل ، وما أشبه صاحب الشهوات الحسية بالأجرب الذى لا يفتأ يحك جلده ، فيولد له هذا الحك شيئا من اللذة والارتياح ، ولكنه لا يريحه من داء الجرب !

وصاحب اللذات الحسية الغليظة يغفل عن صنوف من اللذات الروحية ، وهى لذات نقية صافية لا يشوبها كدر أو ألم ، فهناك لذة العلم والمعرفة ، وهناك

لذة تذوق الفنون والآداب الرفيعة العالية ، وهناك لذة التمسك بالفضائل والقيم العليا ، وكلها لذات باقية خالدة .

والخضوع للذات الحسية دليل على ضعف الإنسان وعجزه ، لأن الإسراف فى اللذات يجر حتما إلى الظلم والاغتصاب والافتئات على حقوق الآخرين ، وذلك شر ، وشر كبير ، شر بالنسبة للمظلوم ، وشر بالنسبة للظالم ، أما بالنسبة للمظلوم فهذا معروف ، وأما بالنسبة للظالم ، فلأن الظلم يدل على نقص العقل ، فالظالم بسبب ظلمه لن يشعر براحة ، ولن يتمتع بسعادة ، ومهما أمات ضميره ، ومهما تجاهل عاقبة ظلمه ، فإنه يشعر فى قرارة نفسه باحتقار النفس ، وإن صور ظلمه لتظل منقوشة فى صدره ، وستظل ذاكرته مشحونة بالهواجس التى تفقده راحة البال وطمأنينة النفس .

والظالم ناقص العقل ، لأنه بظلمه فقد محبة الناس ، وما أمضّ أن يشعر الإنسان بأنه غير مرغوب فيه ، بل مبغوض مكروه .

وأقسى ما ينال الظالم جزاء ظلمه فى الدنيا ، فضلا عما ينتظره من العقاب فى الآخرة ، أنه لن يشعر بالراحة ساعة الاحتضار ، وهذا أمر واقع ملموس .

والتاريخ يحدثنا عن ملوك وخلفاء وسلاطين وحكام وبعضهم كان من العادلين ، ولكنهم ارتكبوا فى حياتهم بعض الهفوات التى ندموا عليها ساعة الوفاة ، وتمنوا لو كانوا لم يفعلوها ، وصدق الله العظيم حيث يقول : (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) .

وإذا كان الإسراف فى اللذات يعقب الحسرات ، فعلى الإنسان العاقل أن يقتصر منها على الطيب المشروع الذى يوفى بمطالب جسمه ، وهذا القدر المعتدل نظمته الشرائع والأديان ، ومن أجلها كان إرسال الرسل والأنبياء .

الحكماء والأنبياء :

الحكمة طب القلوب ، وحاجتنا إلى الحكمة أكثر من حاجتنا إلى الطبيب ، والحكماء والأنبياء هم أطباء البشرية ، وأساتها الذين يطبون لأمراضها ، ويعملون على سلامتها ووقايتها .

وهم يمتازون بعقلهم الراجح ، ورأيهم السديد ، وهم الذين تكفلوا ببيان الحكمة بنوعيها العلمى والعملى التى لخصناها فى : معرفة الحق وعمل الخير.

ولكنَّ هناك فروقا بين حكمة الحكيم وهداية النبى ، فالغالب على حكمة الحكيم الناحية العلمية ، وإن أخذ من الحكمة العملية بطرف ، والغالب على هداية النبى الحكمة العملية وإن أخذ من الحكمة العلمية بطرف ، وهذا ما وضحه الشهرستانى فى كتابه « الملل والنحل » وفرق آخر وضحه الشهرستانى وهو أن حكمة الحكيم مستمدة من الإلهامات العقلية التى يتعرض لها ، أما حكمة النبى فهى ممدودة بالوحى من الله تعالى .

يقول الشهرستانى : « فغاية الحكيم أن يتجلّى له نظام الكون ، ويتشبّه بالحق – تعالى وتقدّس – بغاية الإمكان . وغاية النبى أن يتجلى له نظام الكون ، فيقدّر على ذلك مصالح العامة حتى يبقى نظام العالم » .

ومن هذا ندرك حينما نعرض للحكماءوحكمهم ، لماذا قيل بنبوة زرادشت أو بوذا أو لقمان أو غيرهم من الحكماء . فالحكماء والأنبياء أوتوا الحكمة من الله هبة منه وكرما وفضلا (يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ، وما يذكر إلا أولوا الألباب) .

يقول الله تبارك وتعالى فى شأن نبينا محمد ﷺ : (هو الذى بعث فى

الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين) .

ويقول عن إبراهيم وذريتـه (فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة)

ويقول عن داود (وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء) ويقول (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) .

ويقول عنه وعن ابنه سليمان (ولقد آتينا داود وسليمان علما) ويقول (وكلا آتينا حكما وعلما) ويقول فى شأن موسى (وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء) ويقول : (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور) ويقول فى حكمة عيسى (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) .

عليهم صلوات الله وتسليماته أجمعين .

الحكيم الذى ذكره القرآن :

وممن آتاهم الله الحكمة لقمان الحكيم الذى اختلف المفسرون بشأنه ، أهو حكيم أم نبى ، والقرآن الكريم يثبت له الحكمة التى فسرها بعضهم بالنبوة ، وذلك فى سورة سميت باسمه وفيها يقول الله تبارك وتعالى : (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ، ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن الله غنى حميد) .

وذكرت آيات أخرى وصاياه التى وجّهها إلى ابنه ، وحثه فيها على توحيد الله وعدم الإشراك به ، وأمره بجملة من الفضائل ونهاه عن بعض الرذائل ، فحثه على البر بالوالدين ، ولا سيما الأم ، كما أوصاه بمراقبة الله فى سره وعلنه ، فالله رقيب على كل شىء ، مطلع على خفيات الأمور ، كما أوصاه بإقامة الصلاة

والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والتزام الصبر ، والتحلّى بفضيلة التواضع ، وحذّره من الكبر والإعجاب بالنفس ، ورفع الصوت ، وذلك فى قوله تعالى :

(وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ، إن الشرك لظلم عظيم . ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن . وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلىّ المصير ، وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلىّ ، ثم إلىّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون . يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ، إن الله لطيف خبير . يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ، إن ذلك من عزم الأمور ، ولا تصعّر خدّك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) .

منهجنا فى هذا الكتاب :

وواضح أن الغاية التى نتغياها فى هذا الكتاب ، والهدف الذى نرمى إليه هو دعم الأخلاق ونحن مقبلون على مرحلة جديدة حاسمة ، فى تصحيح أوضاعنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية . لهذا أوردنا فى هذا الكتاب كثيراً من الحكم المتنوعة لطائفة من الحكماء فى الشرق والغرب ، وضممنا إليها لمعاً من أقوال السيد المسيح وتعاليمه ، والأحاديث النبوية الشريفة ، ولا نتخوّف هنا من شبهة قد ترد على بعض الأذهان ، فبدون شك نحن لا نسوّى بين حكم الحكماء

وكلمات الأنبياء ، وإنما ضممنا هذه إلى تلك لتكون نورا على نور ، يهدى الله لنوره من يشاء ، فحكمة الحكيم كما بينا يستلهمها من عقله ، وهى قابلة للخطأ والصواب ، أما حكمة النبي فهى وحى موحى به من عند الله ، فلا مجال للمساواة بين إلهامات العقل ، وإمدادات الوحى .

وقد قدمنا بين يدى هذه الحكم تعريفات وترجمات موجزة تعرف بأصحابها ، كما علقنا على بعضها بما أسعف به الخاطر ، وسمح به المجال .

هذا ، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يمنح قلوبنا نورا نشاهد به آيات رحمته ، وأن يمنحنا الصدق مع أنفسنا والناس ، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأن يهدينا الصراط المستقيم ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

لقمان

أرجح الآراء على أنه لقمان بن باعوراء من أولاد آزر والد إبراهيم عليه السلام ، قيل إنه عاش فى زمن أيوب النبى ، وقيل إنه ابن أخت أيوب أو خالته ، وأيوب قد عاش فى القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، وقيل إنه أدرك عهد داود الذى كان ملكا على بنى إسرائيل ، وهو نبى الله داود الذى عاش فى القرن الحادى عشر قبل الميلاد ، ولهذا قالوا إن لقمان عاش ألف سنة .

والظاهر أنه عاش فى عصر داود ، وأنه كان عبدا أسود اللون ، ينتمى إلى الجنس الأفريقى ، قيل من أهل النوبة ، وقيل من أهل الحبشة ، وقيل من أهل السودان .

وهناك روايات تفيد أنه من أهل « أيلة » وأن اسمه بلعام بن بروق ، وأنه كان عبدا لرجل من بنى إسرائيل ، والظاهر أنه كان عبدا لرجل عربى من بنى الحسحاس يسمى القين بن جبير ، وأن القين بن جبير أعتقه ، حين ظهر فضله ، وجرت الحكمة على لسانه .

واختلف المفسرون : هل كان لقمان نبيا أو كان حكيما ، فقال بعضهم بنبوته ، وأكثر أهل العلم على أنه رجل صالح كامل العقل ، كان كثير التأمل والتفكير والصمت ، وكان حميد السيرة ، فخيَّره الله بين الحكمة والنبوة ، فاختار الحكمة فوهبه الله إياها [1] .

---

(١) هذا الاختلاف حول لقمان الحكيم وشخصيته وزمنه لايؤثر على حقيقة وجوده التى أخبر=

والحكمة التى أوتيها لقمان حكمة ربانية ، وليست من الحكم المكتسبة التى يحصلها الحكماء والفلاسفة بالبحث والنظر. ويرجح الأستاذ عبد الكريم الخطيب فى تفسيره أن لقمان كان نبيا ، واحتج لرأيه بأن القرآن الكريم سمى سورة منه باسمه ، كما سمى سورا باسم إبراهيم ويونس وهود ويوسف ومحمد ومريم ، وهذه التسمية تشير إلى ماللمسمى من شأن وقدر فى مقام الخير أو الشر ، كما سميت سورة باسم أبى لهب ، لأنه كان علما من أعلام الضلال والكفر.

وقالوا : إن لقمان الحكيم هذا غير لقمان بن عاد الذى عاش فى زمن هود عليه السلام ، والذى تدور حوله أسطورة عربية حول طول عمره ، فقد ذكروا أن (لقمان عاد) سأل الله أن يعطيه عمرا ، فأعطى عمر سبعة أنسر. قالوا : فكان يأخذ الفرخ منها حين يخرج من البيضة ، ويأخذ الذكر لفضل قوته ، فإذا مات أخذ غيره ، وكل نسر يعيش فيما قيل نحو ثمانين سنة ، حتى انتهى إلى النسر السابع الذى سماه « لبد » مؤملا أنه لا يموت ، ولكن لبد مات ، ومات لقمان بموته.

ولهذا جاء فى الأمثال العربية « طال الأمد على لبد » وجاء فى شعر النابغة الذبيانى :

أمست خلاء وأمسى أهلها ارتحلوا
أخنى عليها الذي أخنى على لبد

وقد نسب إلى لقمان الحكيم أقوال وحكم ومواعظ منثورة فى كتب الأدب

= بها القرآن ، كما أخبر بقصة أصحاب الكهف ، ثم أثبتت الكشوف التاريخية والأثرية صحة الواقعة. راجع كتاب أهل الكهف لمحمد تيسير ظبيان

والأخبار ، وقيل كانت فى أيام النبى عليه السلام مجلة تسمى مجلة لقمان ، ويروى عن وهب بن منبه أنه قرأ فى حكمة لقمان عشرة آلاف باب .

وتتسم هذه الحكمة بسمة الزهد فى الدنيا ، والحث على الفضائل وهاك طائفة منها :

● قيل إن سيده أمره بذبح شاة ، وطلب منه أن يأتى له بأطيب عضوين من أعضائها ، فأتى له بالقلب واللسان . وبعد أيام أمره أن يذبح شاة أخرى ، وأن يستخرج أخبث مضغتين فيها ، فأتى له بالقلب واللسان ، فسئل فى ذلك فقال : هما أطيب ما فيها إذا طابا ، وأخبث مافيها إذا خبثا .

● إن العاقل إذا أبصر بعينيه عرف الحق بقلبه .

● ثلاث من كنّ فيه فقد استكمل الإيمان ، من إذا رضى لم يخرجه رضاه إلى الباطل ، وإذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق ، وإذا قدر لم يتناول ماليس له .

● إذا أردت أن تؤاخى رجلا فأغضبه ، فإن أنصفك فى غضبه ، وإلا فدعْه .

● ضرب الوالد ولده كالسماد للزرع .

● يا بنى ، قد ندمت على الكلام ، ولم أندم على السكوت .

● مثل الخليل الصالح كمثل النخلة ؛ إن قعدت فى ظلها أظلتك ، وإن احتطبت من حطبها نفعك ، وإن أكلت من ثمرها وجدته طيبا .

● قيل للقمان : ماأقبح وجهك ! فقال : أتعيب بهذا على النقش أم على النقاش ؟ !

● الإخوان ثلاثة : مخالب ومحاسب ومراغب ، فالمخالب الذى ينال منك

معروفك ولايكافئك ، والمحاسب الذى ينيلك بقدر مايصيب منك ، والمراغب الذى يرغب فى مواصلتك بغير طمع .

● ينبغى للعاقل أن يكون فى أهله كالصبى ، فإذا كان فى القوم كان رجلا .

● ليس مال كالصحة ، ولانعيم كطيب نفس .

● إن القلب ليحيا بالحكمة كما تحيا الأرض بالمطر .

● يابنى ، لاتجالس الفجار ولاتماشهم ، اتق أن ينزل عليهم عذاب من السماء فيصيبك معهم ، وجالس الفضلاء والعلماء ، فإن الله تعالى يحيى القلوب الميتة بالفضيلة والعلم ، كما يحيى الأرض بوابل المطر .

● المعروف كنز ، فانظر من تودعه .

● دارٌ أنت إليها تسير أقرب من دار أنت عنها مرتحل .

● إياك والدَّيْن ، فإنه ذلّ النهار وهمّ الليل .

● من رحم يُرحم ، ومن يصمت يسلم ، ومن يقل الخير يسلم ، ومن يقل الشر يأثم ، ومن لايملك لسانه يندم .

● إياك وصاحب السوء ، فإنه كالسيف ؛ يحسن منظره ، ويقبح أثره .

● لاتكن الملة أكيس منك ، تجمع فى صيفها لشتائها .

● لايكن الديك أكيس منك ؛ ينادى بالأسحار وأنت نائم .

● إياك والكذب ؛ فإنه أشهى من لحم العصفور .

● يابنى ، أوصيك باثنتين لن تزال بخير ماتمسكت بهما ؛ درهمك لمعاشك ، ودينك لمعادك .

● كذب من قال : إن الشر يطفأ بالشر ، فإن كان صادقا فليوقد نارين ، ثم ينظر هل تطفئ إحداهما الأخرى ، وإنما يطفئ الخير الشر ، كما يطفئ الماء النار .

● حملت الصخر والحديد ، فلم أحمل أثقل من الدَّيْن ، وأكلت الطيبات وعانقت الحسان فلم أصب ألذ من العافية ، وذقت المرارات فلم أذق أمر من الحاجة إلى الناس .

● إذا امتلأت المعدة ، نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة .

● أمر ، لاتدرى متى يلقاك ، استعد له قبل أن يفجأك .

● إن من الكلام ماهو أشد من الحجر ، وأنفذ من الإبر ، وأمر من الصبر ، وأحر من الجمر ، وإن من القلوب مزارع ، فازرع فيها الكلمة الطيبة ، فإن لم تنبت كلها نبت بعضها .

● استعن بالكسب الحلال على الفقر ، فإنه ماافتقر أحد إلا أصابته رقة فى دينه ، وضعف فى عقله ، وذهاب مروءته ، وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به .

● أن تكون أخرس عاقلا خير من أن تكون نطوقا جهولا .

● إن كنت فى الصلاة فاحفظ قلبك ، وإن كنت فى الطعام فاحفظ خلقك ، وإن كنت فى بيت الغير فاحفظ عينيك ، وإن كنت بين الناس فاحفظ لسانك .

● اذكر اثنين وانس اثنين ؛ أما اللذان تذكرهما فالله والموت ، وأما اللذان تنساهما فإحسانك فى حق الغير ، وإساءة الغير فى حقك .

● خذ من الدنيا بلاغك ، وأنفق فضول كسبك تقدمه لآخرتك ، ولاترفضها كل الرفض فتكون على الناس عيالا ، وعلى أعناق الناس كلاً .

● إن يد الله على أفواه الحكماء ، لايتكلم أحدهم إلا ماهيأ الله له .

● يأتى على الناس زمان لاتقرّ فيه عين حكيم .

● إن الدنيا بحر عميق ، قد غرق فيها ناس كثير ، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله ، وليكن حشوها إيمانك بالله ، وشراعها التوكل على الله ، فلعلك تنجو ، ومأأظنك ناجيا .

● لاتتعلم العلم لتباهى به العلماء ، وتمارى به السفهاء ، أو ترائى به فى المجالس .

● كيف لايخاف الناس مايوعدون ، وهم فى كل يوم ينقصون .

● لاتضع برّك إلا عند راعيه ، فكما ليس بين الكبش والذئب خلة ، كذلك ليس بين البارّ والفاجر خلة .

● لاتأمر الناس بالبر وتنسى نفسك ، فيكون مثلك مثل السراج ؛ يضىء للناس ويحرق نفسه .

● الزم الحكمة تكرم بها ، وأعزّها تعزّ بها ، وسيّد أخلاق الحكمة دين الله عز وجل .

● اتخذ تقوى الله تجارة ، يأتك الربح من غير بضاعة .

● حملت الجندل والحديد ، فلم أحمل شيئا أثقل من جار السوء ، وذقت المرارة فلم أذق أمر من الفقر .

● ثلاثة لاتعرفهم إلا فى ثلاثة : لاتعرف الحليم إلا عند الغضب ولا الشجاع إلا عند الحرب ، ولاتعرف أخاك إلا إذا احتجت إليه .

هرمس

جاء فى دائرة معارف القرن العشرين للعلامة محمد فريد وجدى .

« يقال إن الهرامسة ثلاثة ؛ هرمس الأول ، وهو المثلث بالنعم ، فإنه كان قبل الطوفان ، ومعنى هرمس لقب كما يقال قيصر وكسرى ، وتسميه الفرس فى سيرها اللهجد ، وتفسيره ذو عدل ، وهو الذى تذكر الحرانية نبوته ، وتذكر الفرس أن جده كيومرث وهو آدم ، وتذكر العبرانيون أنه أخنوخ ، وهو بالعربية إدريس .

قال أبو معشر : هو أول من تكلم فى الأشياء العلوية من الحركات النجومية ، وأن جده كيومرث وهو آدم ، علمه ساعات الليل والنهار ، وهو أول من بنى الهياكل ، ومجّد الله فيها ، وأول من نظر فى الطب وتكلم فيه ، وأنه ألّف لأهل زمانه كتبا كثيرة بأشعار موزونة ، وقوافٍ معلومة . بلغة أهل زمانه فى معرفة الأشياء الأرضية والعلوية ، وهو أول من أنذر بالطوفان ، ورأى أن آية سماوية تلحق الأرض من الماء والنار . وكان مسكنه صعيد مصر ، تخير ذلك فبنى هنالك الأهرام ومدائن التراب ، وخاف ذهاب العلم بالطوفان ، فبنى البرابى ، وهو الجبل المعروف بالبربا بربا أخميم ، وصور فيها جميع الصناعات وصناعها نقشا ، وصور جميع آلات الصناع . أشار إلى صفات العلوم لمن بعده برسوم حرصا منه على تخليد العلوم لمن بعده ، وخيفة أن يذهب رسم ذلك من العالم .

وثبت فى الأثر المروىّ عن السلف أن إدريس أول من درس الكتب ونظر فى العلوم ، وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة ، وهو أول من خاط الثياب ولبسها ورفعه الله مكانا عليا .

وأما هرمس الثانى فإنه من أهل بابل ، سكن مدينة الكلدانيين وهى بابل ، وكان بعد الطوفان فى زمن نزير بالى الذى هو أول من بنى مدينة بابل بعد نمرودبن كوش . وكان بارعا فى علم الطب والفلسفة وعارفا بطبائع الأعداد ، وكان تلميذه فيثاغورس الارثماطيقى . وهرمس هذا جدّد من علم الطب والفلسفة وعلم العدد ما كان قد درس بالطوفان ببابل ، ومدينة الكلدانيين هذه مدينة الفلاسفة من أهل المشرق ، وفلاسفتهم أول من حدّد الحدود ورتّب القوانين . وأما هرمس الثالث فإنه سكن مدينة مصر ، وكان بعد الطوفان ، وهو صاحب كتاب الحيوانات ذوات السموم . وكان طبيبا فيلسوفا عالما بطبائع الأدوية القتالة والحيوانات المؤذية . وكان جوّالا فى البلاد طوافا بها ، عالما بنصبة المدائن وطبائعها وطبائع أهلها ، وله كلام حسن فى صناعة الكيمياء نفيس ، يتعلق منه إلى صناعات كثيرة كالزجاج والخزز والفخار وما أشبه ذلك ، وكان له تلميذ يعرف باسقيلبيوس ، وكان مسكنه بأرض الشام » .

وقال الشهرستانى فى كتاب الملل والنحل :

هرمس الحكيم المحمودة آثاره ، المرضية أقواله وأفعاله ، الذى يعدّ من الأنبياء الكبار ، ويقال هو إدريس النبى عليه السلام ، وهو الذى وضع أسامى البروج والكواكب السيارة ورتبها فى بيوتها ، وأثبت لها الشرف والوبال ، والأوج والحضيض ، والمناظر بالتثليث والتسديس والتربيع ، والمقابلة والمقارنة ، والرجعة والاستقامة ، وبين تعديل الكواكب وتقويمها ، وأما

الأحكام المنسوبة إلى هذه الاتصالات فغير مبرهن عليها عند الجميع .

وأورد الشهرستانى طائفة من حكم هرمس قال عنها إنها تدل على تقرير مذهب الحنفاء فى إثبات الكمال فى الأشخاص البشرية ، وإيجاب القول فى اتباع النواميس الإلهية .

ومن حكم هرمس :

● أول مايجب على المرء الفاضل بطباعه ، المحمود بسنخه ، المرضى فى عادته ، المرجو فى عاقبته : تعظيم الله عز وجل ، وشكره على معرفته ، وبعد ذلك فللناموس عليه حق الطاعة له ، والاعتراف بمنزلته ، وللسلطان عليه حق المناصحة والانقياد ، ولنفسه عليه حق الاجتهاد ، والدأب فى فتح باب السعادة ، ولخلصائه عليه حق التحلى لهم بالود ، والتسارع إليهم بالبذل ، فإذا أحكم هذه الأسس لم يبق عليه إلا كفّ الأذى عن العامة ، وحسن المعاشرة ، وسهولة الخلق .

● أفضل مافى الإنسان من الخير العقل ، وأجدر الأشياء ألا يندم عليه صاحبه العمل الصالح ، وأفضل مايحتاج إليه فى تدبير الأمور الاجتهاد ، وأظلم الظلمات الجهل ، وأوثق الإسار الحرص .

● من أفضل البر ثلاثة : الصدق فى الغضب ، والجود فى العسرة ، والعفو عند المقدرة .

● من لم يعرف عيب نفسه ، فلا قدر لنفسه عنده .

● الفصل بين العاقل والجاهل : أن العاقل منطقه له ، والجاهل منطقه عليه .

● لاينبغى للعاقل أن يستخف بثلاثة أقوام : السلطان ، والعلماء ، والإخوان . فإن من استخف بالسلطان أفسد عليه عيشه ، ومن استخف بالعلماء أفسد عليه دينه ، ومن استخف بالإخوان أفسد عليه مروءته .

● الخير والشر واصلان إلى أهلها لامحالة ، فطوبى لمن جرى وصول الخير إليه وعلى يديه ، والويل لمن جرى وصول الشر إليه وعلى يديه .

● الإخاء الدائم الذى لايقطعه شىء اثنان : أحدهما محبة المرء نفسه فى أمر معاده ، وتهذيبه إياها فى العلم الصحيح والعمل الصالح ، والآخر مودته لأخيه فى دين الحق ، فإن ذلك مصاحب أخاه فى الدنيا بجسده ، وفى الآخرة بروحه .

● الغضب سلطان الفظاظة ، والحرص سلطان الفاقة ، وهما منشئا كل سيئة ، ومفسدا كل جسد ، ومهلكا كل روح .

● الاستخفاف بالموت أحد فضائل النفس .

● المرء حقيق له أن يطلب الحكمة ويثبتها فى نفسه أولا ، بألا يجزع من المصائب التى تعم الأخيار ، ولايأخذه الكبر فيما يبلغه من الشرف ، ولايعير أحدا بما هو فيه ، ولا يغيره الغنى والسلطان ، وأن يعدل بين نيته وقوله حتى لايتفاوت ، وتكون سنته مالاعيب فيهْ ، ودينه مالا يختلف فيه ، وحجته مالا ينتقض .

● أنفع الأمور للناس القناعة والرضا ، وأضرها الشره والسخط ، وإنما يكون كل السرور بالقناعة والرضا ، وكل الحزن بالشره والسخط .

● كل شىء يطاق تغييره إلا الطباع ، وكل شىء يقدر على إصلاحه غير الخلق السوء ، وكل شىء يستطاع دفعه إلا القضاء .

● الجهل والحمق للنفس بمنزلة الجوع والعطش للبدن ، لأن هذين خلاء النفس ، وهذين خلاء البدن .

● أحمد الأشياء عند أهل السماء والأرض لسان صادق ناطق بالعدل والحكمة والحق فى الجماعة .

● من كان دينه السلامة والرحمة والكف عن الأذى فدينه دين الله عز وجل ، وخصمه شاهد له بفلج حجته ، ومن كان دينه الهلاك والفظاظة فدينه الشيطان ، وهو يدحوض حجته شاهد على نفسه .

● الملوك تحتمل الأشياء كلها إلا ثلاث : قدح فى الملك ، وإفشاء للسر ، وتعرض للحرمة .

● لاتكن أيها الإنسان كالصبى ؛ إذا جاع ضغا ، ولا كالعبد ، إذا شبع طغا ، ولا كالجاهل ؛ إذا ملك بغى .

● لاتشيرنّ على عدو ولاصديق إلا بالنصيحة ، فأما الصديق فتقضى بذلك من واجبه حقه ، وأما العدو فإنه إذا عرف نصيحتك إياه هابك وحسدك ، وإن صحّ عقله استحى منك وراجعك .

● يدل على غريزة الجود السماحة عند العسرة ، وعلى غريزة الورع الصدوف عند الشره ، وعلى غريزة الحلم العفو عند الغضب .

● من سره مودّة الناس له ، ومعونتهم إياه ، وحسن القول منهم فيه ، حقيق بأن يكون على مثل ذلك فهم .

● لايستطيع أحد أن يحوز الخير والحكمة ، ولا أن يخلص نفسه من المعايب ، إلا أن يكون له ثلاثة أشياء ؛ وزير وولى وصديق ، فوزيره عقله ، ووليه عفته ، وصديقه عمله الصالح .

● لايمدح بكمال العقل من لا تكمل عفته ، ولابكمال العلم من لايكمل عقله .

● من أفضل أعمال العلماء ثلاثة أشياء : أن يبدّلوا العدوّ صديقا ، والجاهل عالما ، والفاجر برا .

● الصالح من خيره خير لكل أحد ، ومن يعدّ خير كل أحد لنفسه خيرا .

● اجتنب مصاحبة الكذاب ؛ فإنك لست منه على شيء بتحصّل ، وإنما أنت معه على مثل السراب ، يلمع ولاينفع .

● ليس بحكيم من لم يعاد الجهل ، ولابنور مالم يمحق الظلمة ، ولابطيب مالم يدفع النتن ، ولابصدق مالم يدحض الكذب ، ولابصالح مالم يخالف الطالح .

● كل إنسان موكل بإصلاح قدر باع من الأرض ، فإنه إذا أصلح قدر ذلك الباع ، صلحت له أموره كلها ، وإذا أضاعه أضاع الجميع ، وقدر ذلك نفسه .

زرادشت

زرادشت هو أشهر حكماء الفرس قديما ، ويعتبره الفرس القدماء نبيا لهم، وهو مؤسس المذهب المنسوب إليه ، والمعروف بالزرادشتية .

يرجح أنه ولد عام ٦٦٠ ق . م ومات عام ٥٨٣ ق . م وقد ساد الرأى لدى كثير من أتباعه أنه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، وليس لهذا الرأى سند يعتدّ به ، وقد حشيت سيرته بالأساطير ، اعتزل الناس ، وآوى إلى الصحراوات والغابات ، وأخذ يفكر فى الوجود ، وفى مشكلة الخير والشر ، حتى ظهرت له الحقيقة ، فأخذ من ذلك الحين يطوف ببلاد إيران لنشر تعاليمه .

وله كتاب يزعم أتباعه أنه كتاب مقدس اسمه « الابستاق » .

والزرادشتية تقول بوجود قوتين تعملان فى العالم هما قوة الخير وقوة الشر التى يمثلها « أهورامزدا » و « اهرمان » .

ويهمنا هنا من هذا المذهب جانبه الأخلاقى ، وهذا الجانب يعتمد على ثلاثة أصول وهى :

١ – التفكير الطيب .

٢ – والقول الطيب .

٣ – والعمل الطيب

وينادى بسبع فضائل عليا هى : الحكمة والشجاعة والعفة والعدل والإخلاص والأمانة والكرم ، ويبدو أن الزرادشتية تعتبر قوة الخير التى يمثلها

الإله اهورا مزدا هى الأصيلة ، ولهذا يقول الشهرستانى : « وكان دينه – أى دين زرادشت – عبادة الله ، والكفر بالشيطان ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، واجتناب الخبائث » .

ومن تعاليم هذا المذهب ، الحث على العمل ، وبخاصة تفليح الأرض والزرع والغرس وتنمية الحصاد ، والحض على الرفق بالحيوان النافع ، والحث على النظافة والمحافظة على الصحة .

وتبين الزرادشتية أن كل إنسان عليه واجبات نحو نفسه ، ونحو أسرته ونحو مجتمعه ، ونحو الإنسانية كلها . وتحرم الانتحار ، وتوجب الزواج للإكثار من النسل ، وتحبذ تعدد الزوجات .

ومن أجل هذا الاتجاه العملى والالتزام الاجتماعى اتخذها مؤسس الأسرة الساسانية دينا رسميا للدولة ، وسار على هذا خلفاؤه من بعده .

ويوضح لنا الشهرستانى أساس هذا المذهب فيقول :

« النور والظلمة أصلان متضادان ، وكذلك « يزدن » و« اهرمن » وهما مبدأ موجودات العالم ، وحصلت التراكيب من امتزاجها ، وحدثت الصور من التراكيب المختلفة » ويقول : « والبارى – تعالى – خالق النور والظلمة ومبدعها ، وهو لاشريك له ، ولاضدّ ولاندّ ، ولايجوز أن ينسب إليه وجود الظلمة . . لكن الخير والشر ، والصلاح والفساد ، والطهارة والخبث ، إنما حصلت من امتزاج النور والظلمة ، ولو لم يمتزجا لما كان وجود العالم ، وهما يتقاومان ويتغالبان إلى أن يغلب النور الظلمة ، والخيرُ الشرَّ ، ثم يتخلص الخير إلى عالمه ، والشر ينحطّ إلى عالمه ، وذلك هو سبب الخلاص . والبارى – تعالى – هو الذى خلطهما لحكمة فى التركيب » . .

ويقول الشهرستان : «وربما جعل أى زرادشت – النور أصلا ، وقال : وجوده وجود حقيق ، وأما الظلمة فتبع ، كالظل بالنسبة إلى الشخص ، فإنه يرى أنه موجود ، وليس بموجود حقيقة ، فأبدع النور وجعل الظلام تبعا ، لأن من ضرورة الوجود التضاد ، فوجوده ضرورى واقع فى الخلق لا بالقصد الأول» .

هذا هو أساس المذهب الزرادشتى ، فهو لايقول بالثنوية ، كالمانوية والمزدكية والديصانية والمرقيونية ، وهى مذاهب محرفة عن المذهب الزرادشتى ، وتقول بالأصلين النور والظلمة .

أما زرادشت فالفرس يعتبرونه نبيا لهم كما أسلفنا ، ويبدو أن بعض المسلمين وافقهم على هذا القول ، فقد رأيت فى كتاب «الفصل فى الملل والأهواء والنحل» لابن حزم عبارة تقول «وأمازرادشت فقد قال كثير من المسلمين بنبوته» ثم يقول ابن حزم بعد ذلك «ليست النبوة بمدفوعة قبل رسول الله ﷺ لمن صحت فيه معجزة ، قال الله تعالى : (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) .

ومن أقوال زرادشت التى تحمل تعاليمه :

● إن من يبذر الحب يبذر القدسية ، فحين تبذر الحب تذعر الشياطين ، وحين تنبت تضطرب وتمرض ، وحين ترى سيقانه تبكى ، وحين ترى السنابل تدير ظهرها ، وإنها لتولى فرارا من البيت الذى يخزن فيه القمح[1] .

---

(١) والإسلام يحض على العمل وعدم التوانى والكسل ، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام «التمسوا الرزق فى خبايا الأرض» .

● إن عالما قليل العلم يحاول إنارة عقول الناس بما يعلم ، خير من عالم واسع العلم ضنين به [٢] .

● إن الذى لايجود بماله مع ما أوتى من وفرة الرزق سوف يساق إلى هاوية الفقر سوقا ، ولتنصب المصائب انصبابا على الأشحاء الذين لايتصدقون .

● أتوسل إليك يا إلهى أن تحمى حمى الهداية ، وعسى أن تتفضل على بها ، أنت يامن يبعث فى النفوس التقوى ، التى لها من العظمة مالها ، فهى النعمة المقدسة ، وهى حياة العقول الطيبة الصالحة .

● لقد كتبت الشر عقابا على الشر ، وجعلت السعادة جزاء وفاقا لمن يفعل الخير ، وذلك بفضلك العظيم الذى يظهر أثره حينما تتبدل الخليقة التبدل النهائى .

● أرجو منك أيها الرب الخالق المطلق القدير ، أن تغفر لى ماارتكبت من سيئات ، ومادار بخلدى من تفكير سيئ ، وماصدر عنى من قول أو عمل غير صالح .

● إلهى ، إننى أرجو منك أن تباعد بينى وبين الخطايا حتى أحشر يوم الدين مع الأطهار الأخيار .

● إنى أتصورك أيها المعطى الأكبر جميلا حينما أشاهد أنك القوة العليا ، ذات الأثر الفعّال فى تطور الحياة ، وحينما أرى أنك تكافئ الناس على الأعمال والأقوال .

---

(٢) نعم ، فالعبرة ليست بكثرة العلم أو قلته ، وإنما العبرة بالعمل به ، وبنشره بين الناس ، وعدم كتمانه ، وقد أخذ الله الميثاق على العلماء حين علمهم العلم أن يعلموه ، فقال جل شأنه (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) واقرأ هذا الحديث النبوى الكريم « إنما مثل مابعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا ، فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، فذلك مثل من فقه فى دين الله ، ونفعه مابعثنى الله به ، فعلم وعلّم » .

● بالحق تحرك قلبى ، وبالنية الطيبة تلهم عقلى ، وبعظمة القوى الروحية الكامنة فى قرارة نفسى ، أسجد تمجيدا لك ياإلهى ، وعلى شفتى إلى الأبد تسبيحات حمدك ، بل عندما أقف ببابك آخر الأمر أسألك الرحمة والغفران ، سوف أسمع بوضوح الصدى العذب لصلواتى ، منبعثا من جنتك موطن الأناشيد .

بوذا

مئات الملايين من البشر يدينون بالمذهب البوذى الذى أسسه حكيم الهند « ساكيا مونى جوتاما بوذا » الذى نكاد لانعرف شيئا عن حياته التى امتلأت بالأساطير .

والحقائق المتفق عليها أنه كان فى صدر شبابه أميرا يرفل فى أعطاف النعيم ، وأن والده حرص على أن يجنبه رؤية مناظر البؤس والشقاء ، ولكنه خرج مرة للنزهة بعد ماكبر وأصبح شابا . فرأى شيخا هرما ينوء تحت ضعف شيخوخته ، ورأى فى مرة ثانية مريضا قد شوّه جسمه المرض ، وفى مرة ثالثة رأى جنازة ميت يشيعه أهله وأحبابه بالصراخ والعويل ، فأثرت هذه المناظر فى نفسه أثرا بالغا ، وأخذ يفكر فى هذا الوجود ، والمصير الذى يئول إليه الإنسان ، وهداه تفكيره فهجر القصر وزوجته الجميلة وابنه الصغير ، وخرج يسيح فى الأرض ، يطلب الحقيقة ويناقش الرهبان البراهمة ، ويأوى إلى الغابات والكهوف ، وعاش حياة الزهد والتقشف والحرمان .

وفى ليلة استبد به الهم والتفكير والشوق إلى معرفة الحقيقة ، فجلس تحت ظل شجرة ، وأقسم ألا يبرح مكانه حتى تتنزل عليه الحقيقة ، ومع أول خيط من خيوط الفجر ، هبطت عليه الاستنارة ، وتجلت له الحقيقة كاملة .

ثم أخذ يدعو إلى مبادئه حتى كثر أتباعه ، وكان دائم التطواف حتى بلغ الثمانين ، وأحسّ بدنو الأجل ، فألقى عصا التسيار واضطجع تحت ظل

شجرة ، حيث وافته منيته سنة ٤٨٨ ق . م فى إحدى الروايات التى ذكرت تاريخ مولده ووفاته .

ويذهب المرحوم الأستاذ حامد عبد القادر فى الكتاب الذى وضعه عنه إلى احتمال أن يكون بوذا نبيا مرسلا ، وفسر كلمة « التين » فى قوله سبحانه وتعالى (والتين والزيتون) بأنها قد تكون شجرة التين التى جلس تحتها بوذا ، وتلقى الرسالة فى ظلها ، وعلى هذا تكون كلمة « التين » رمزا للديانة البوذية ، وكلمة « الزيتون » إشارة إلى ديانة عيسى ، وكلمة « طور سينين » إيماء إلى رسالة موسى ، و « البلد الأمين » إشارة إلى رسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

والبوذية بنيت على حكم أخلاقية ، منها الحقائق الأربع السامية ، وهى :

١ – الوجود كله هم وألم .

٢ – الشهوة هى سبب الألم .

٣ – التغلب على الشهوة تغلب على الألم .

٤ – وسائل التغلب على الألم ثمانية هى : صحة الرأى ، صحة النية ، صحة القول ، صحة الفعل ، صحة العيش ، صحة الجهد ، صحة مانعنى به ، صحة التركيز أو صدق التأمل .

ويبدو أن تعاليم بوذا قد دخل عليها تحريف كثير بعد وفاته ، وانصرف تلاميذه إلى تعظيم شجرته التى أطلق عليها « شجرة العرفان » أكثر مما عنوا بتعاليمه ، وفى آسيا « بوذيات » متعددة مختلفة فى الهند والصين واليابان والتبت وبورما وسيام وسيلان .

ومن الكلمات المأثورة عن بوذا :

● قيل إنه وهو يحتضر رأى تلميذه يتنحب فقال له :

لاتبك يا أنانندا ، ألم أخبرك أن من طبائع الأشياء أن نفارق أقرب الناس إلينا وأعزهم علينا ؟ وكيف يمكن أن يظل الشمل مؤتلفا ، ولايطرأ على التجمع التفرق ؟ ولقد صحبتنى طويلا وكنت لى الصديق المعين ، والتابع المخلص الأمين ، الذى لا يحول عهده ، ولايتبدل ودّه ، ولقد أحسنت الصنيع ، فثابر على جهودك ، وستبلغ رتبة الواصلين .

● الولادة مؤلمة ، والمرض مؤلم ، والشيخوخة مؤلمة ، والحزن والبكاء والخيبة واليأس كلها مؤلم ، وتلك هى الحقيقة السامية عن سبب الألم : سببه الشهوة التى تمازجها اللذة ، الشهوة التى تسعى وراء اللذائذ وتتسقطها هنا وهناك . وتلك هى الحقيقة السامية عن وقف الألم : أن نجتث هذه الشهوة من أصولها ، فلا تبقى لها بقية فى نفوسنا .

● كما أن حب الأم يحملها على أن تحرص على حياة ولدها ، أو ابنها الوحيد ، ولو أدى ذلك أن تضحى بحياتها ، فكذلك يجب على الإنسان أن ينمّى فى نفسه حبا لاحدّ له لجميع الكائنات .

● إن أحلامنا وآمالنا ومخاوفنا ورغباتنا ستنسى كأن لم تكن ، وإن الدهور تنقضى ، والأجيال تمضى ، فليس ثمة مايتحدى الموت ، لأن الموت شريعة الحياة [1] .

---

(١) يكره الغافلون ذكر الموت ويتعامون عن هذه الحقيقة المرة ، وذكر الموت كان من أول هداية الأنبياء ، ومن أكبر همّ الحكماء ، فالحياة باطلة ، والموت حق ، قال ﷺ « أكثروا من ذكر هازم=

● قيل إن امرأة ثكلت وليدها الوحيد ، فأخذت تحتضنه وتبكى بكاء مرّا ، فقالوا لها : اذهبى إلى الحكيم بوذا فهو قادر على أن يعيد الحياة إلى ابنك ، فذهبت إليه ، فطلب منها أن تأتى له بمقدار من حب الخردل شريطة أن يكون من بيت لم يمت منه أحد ، فكانت تطوف على البيوت ، فيقولون لها : هاك الخردل ولكن مات لنا أب ، وفى بيت آخر ، يقولون لها مات لنا ابن ، وفى بيت ثالث : مات لنا أخ ، ولم تجد بيتا لم يمت فيه أحد ، ففهمت مقصد الحكيم ، وذهبت إليه ، وآمنت به ، وصارت من أتباعه .

● على الإنسان أن يتغلب على غضبه بالشفقة ، وأن يزيل الشر بالخير ، إن النصر يولّد المقت ، لأن المهزوم فى شقاء . . ولا تزول الكراهية بالكراهية ، وإنما تزول الكراهية بالحب .

● إن كل من صار لنفسه مصباحا يهدى ، وكل من صار لنفسه ملاذا يؤوى ، فلن يلتمس لنفسه من غير نفسه مأوى ، وسيستمسك بالحق مصباحا ، فلا يطلب من غير نفسه ملاذا .

= اللذات فإنه ماذكره أحد فى ضيق إلا وسعه عليه ، ولافى سعة إلا ضيقها عليه ، والناس منهم الحمق الذين لايذكرونه إلا فى اشتداد مرض أو افتقاد عزيز ، ثم تنقضى المناسبة فلا يخطر له الموت على بال ، ومنهم من يذكره – فى نفسه – فى كل وقت من أوقاته عقلا وحكمة وموعظة واعتبارا ، كالمسافر الذى لايفارقه ذكر مقصده . وإنما يخاف من الموت من لايؤمن بدار أخرى غير هذه الدار ، ولايؤمن ببقاء الروح وخلودها ، فيظن أن بدنه إذا تحلل وصار ترابا ، انحلت نفسه وهلكت . ويخاف من الموت من قدم فى دنياه الشر ولم يقدم الخير ، فهو خائف من العقوبة التى تحل به ، والجزاء الذى ينتظره ، وهناك صنف من الناس ختم الله على قلوبهم ، وأعمى بصيرتهم فلا يرون إلا المال والثروة والعقار والأثاث والمقتنيات ، فهم يحزنون لأنهم سيتركون ما أشقوا أنفسهم فى جمعه وتحصيله . ولو لم يمت آباؤنا وأجدادنا ماوُجدنا على الأرض ، ولو لم نمت نحن ماولد أبناؤنا ، ولو لم يمت أسلافنا وبقوا على وجه الحياة ماوسعتهم هذه الأرض !

● هذه هى الحقيقة السامية عن زوال الألم : اطراح هذا الظمأ اللاهث ، والتحرر من ربقته .

● لما كان المحيط الكبير ليس له إلا مذاق واحد هو الملح الأجاج ، كذلك الحال مع هذه العقيدة ، ليس لها إلا مذاق واحد ، هو مذاق الخلاص والتحرر .

● ليس هناك من نار أشد من الشهوة ، وليس هناك من رمية فاشلة مثل البغض .

● فى يوم من الأيام كان بوذا يدعو لمبادئه بالقرب من إحدى الغابات التى تقع على سفح جبل ، واتفق أن اشتعلت النيران فى الغابة ، فألقى من فوق هذا الجبل موعظة حذر فيها السامعين من الاشتعال بالنيران التى توقدها الشهوة والجهل والغضب .

● الإيمان هو بذور زراعتى ، ومقاومتى لنفسى وشهواتها هو الذى يروى البذور .

● محراثى هو الحكمة ، وقائد محراثى هو التواضع ، والمثابرة هى التى تجرّ هذا المحراث .

● إن نهر باهوكا يعجز عن تطهير الأحمق من خطاياه ، ولو غطس فيه العمر كله ، لن يستطيع نهر أن يبرئ مرتكب المعصية ، وأن يزيل الغلّ من الحقود وأن يعفى المجرم من جنايته . إن مناط التطهر الحق أن تحسن معاملة الناس ، وألا تتحدث ببهتان ، وألاّ تسلب أحداً حياته وماله .

كونفشيوس

فى العهد الذى ظهر فيه بوذا حكيم الهند ، وصولون المشرع ، وفيثاغورس فى اليونان ، وحزقيال ودانيال فى بنى إسرائيل ، كان كونفشيوس حكيم الصين يبشر بتعاليمه ، ويتنقل بين ولايات الصين معلما متجولا فى البلاد ، وقد أسندت إليه بعض المناصب الحكومية فقام بأعبائها خير قيام ، وقد وجه همه إلى العناية بالتربية الوطنية ونظام الحكم ، فكان يقدّم نصائحه للولاة والحكام ، فاكتسب شهرة فائقة فى طول البلاد وعرضها ، ونال صيتا أكبر بعد وفاته سنة ٤٧٨ ق . م. وأصبح مسقط رأسه « لو » معبدا تقدم عنده الأضاحى والقرابين ، وأصبح كونفشيوس المجسد الحقيقى للروح الصينية ، فقد عبرت أفكاره عن نفسية المجتمع الصينى ، وخلف تراثا ضخما ، فضلا عن أخلاقه الشخصية الجذابة .

والكونفوشية نظام سياسى اجتماعى يستمد دعائمه من الأخلاق ، وإن انتشرت كديانة فى بعض جهات آسيا مثل كوريا واليابان .

والمبدأ الأساسى فيها عدم الفصل بين السياسة والأخلاق ، والشعور بالمسئولية الاجتماعية .

والقانون الأخلاقى عند كونفشيوس يعتمد على حدّ الوسط ، أو الوسط الذهبى كما يسمى ، ومعناه التوسط بين الإفراط والتفريط ، وهو قانون صعب المنال ، لأنه بالغ الدقة ، ويخفى أمره على كثير من الناس .

يقول ول ديورانت فى كتابه « قصة الحضارة » :

« وكانت الأخلاق مطلبه وهمه الأول ، وكان يرى أن الفوضى التى تسود عصره فوضى خلقية ، لعلها نشأت من ضعف الإيمان القديم ، وانتشار الشك السفسطائى فى ماهية الصواب والخطأ ، ولم يكن علاجها فى رأيه هو العودة إلى العقائد القديمة ، وإنما علاجها هو البحث الجدّى عن معرفة أتمّ من المعرفة السابقة ، وتجديد أخلاق قائم على تنظيم حياة الأسرة على أساس صالح قويم » .

فالبيت أو الأسرة هى أساس المجتمع ، والفرد المنظم فى الأسرة المنظمة ، ييسر قيام الحكم الصالح والحكومة الصالحة ، والحاكم الصالح يجب أن يكون المثل الأعلى لشعبه فى السلوك الطيب والأخلاق الحسنة ، وإلا صدق قول القائل :

إذا كان رب البيت بالدفّ ضاربا
فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

وهاك بعض تعاليمه وحكمه :

● رأى فى بعض رحلاته الجبلية امرأة تنوح وتولول ، فلما سألها عن سبب بكائها ، أجابته بأن نمرا مفترسا قضى على أسرتها وافترس زوجها وولدها الوحيد ، فقال لها : وماالذى يضطرك إلى البقاء فى هذا المكان الموحش المهلك ، فأجابت المرأة : لأنه لايوجد هنا حاكم ظالم .

فالتفت كونفشيوس إلى بعض تلاميذه وقال : اكتبوا عندكم .

الحاكم الظالم أشدّ فتكًا من النمر المفترس .

● إن الحكومة هى أعظم شىء فى حياة الناس ، لأن الحكومة معناها

الحكم الصحيح ، فإذا سلك الحاكم الطريق السليم ، فإن الأفراد سيقتفون أثره ، ويصبحون حسنى السلوك ، ذلك أن الشعب يقلد مايفعله الحاكم ، فإذا لم يسلك الحاكم الطريق السليم ، فماذا تنتظر من الناس أن يفعلوا ؟

● سئل كونفشيوس عن الحكم فقال : لابد للحكومة من أن تحقق أمورا ثلاثة : أن يكون لدى الناس كفايتهم من الطعام ، وكفايتهم من العتاد الحربى ، ومن الثقة بحكامهم . فقيل له : فإذا لم يكن بد من الاستغناء عن أحد هذه الشروط ، فأىّ هذه الثلاثة يجب أن نتخلى عنه أولا ؟ فقال : العتاد الحربى . فسئل مرة أخرى : وإذا كان لابدّ من الاستغناء عن أحد الشرطين الباقيين ، فأيهما يجب أن نتخلى عنه ؟ فأجاب فلنتخلّ عن الطعام ، ذلك أن الموت كان منذ الأزل قضاء محتوما على البشر ، أما إذا لم يكن للناس ثقة بحكامهم فلا بقاء للدولة .

● إن الكلام المنمق يجعلنا أحيانا عاجزين عن التفرقة بين ما هو حسن وماهو سيئ .

● إن الرجل العاقل لايحكم على الناس بأقوالهم بل بأعمالهم ، ففى العالم المتحضر نجد المجتمع زاخرا بالأعمال السامية ، بينما فى العالم المتأخر نجد المجتمع زاخرا بالخطب الرَّنَّانَة .

● عندما أدخل قطرا من الأقطار ، أستطيع أن أعرف بسهولة نوع الثقافة التى تسود فيه ، إذ عندما أجد فى الناس رقة الطبع والشفقة والبساطة فإن هذا يدل على تعلقهم بالشعر ، وعندما يكون الأفراد واسعى الأفق عارفين لماضيهم فإن هذا يدل على تمسكهم بالتاريخ ، أما إذا كان الأفراد كرماء متفاهمين ، فإن هذا يدل على سيادة الموسيقى ، وإذا كان الشعب هادئا مفكرا ذا قوة وملاحظة

فإن هذا يدل على فلسفة التغير ، ولكن إذا ساد التواضع والاحترام والقناعة فإن هذا يدلّ على سيادة تعاليم الله .

● عندما تسود الألفة بين الزوجة والأولاد والزوج ، فما أشبه المنزل بربابة وعود ، قد تآلفت أنغامها . وعندما يعيش الإخوة فى تآلف وسلام ، فحينئذ يظل إلى الأبد فى وحدة وانسجام .

● لايقلقنى فى حياتى إلا الأمور الآتية : أن أنسى تقويم أخلاقى وسلوكى ، وأن أهمل دراساتى ، وأن أخفق فى اتباع الطريق المستقيم الذى عرفته ورأيته ، وأن أعجز عن تصويب أخطائى ، إن الذى لايصلح خطأه وقد عرفه ، إنما يرتكب خطأ جديدا .

● سئل كونفشيوس عن حكمه على شخص يحبه كل أفراد القرية فأجاب ليس ذلك بكاف فى الحكم عليه ، فسئل عن شخص يكرهه كل أفراد القرية فأجاب : ليس ذلك بكاف فى الحكم عليه ، وإنما الشخص الفاضل هو من يحبه الصالحون من أفراد القرية ، وغير الفاضل هو من يكرهه من أفرادها الصالحون .

● لست أبالى مطلقا إذا لم أشغل منصبا كبيرا ، وإنما الذى أعنى به أن أجعل نفسى خليقا بذلك المنصب الكبير ، وليس يهمّنى قطّ أن الناس لايعرفوننى ، ولكننى أعمل على أن أكون خليقا بأن يعرفنى الناس !

هوميروس

هوميروس الشاعر اليونانى القديم ، قالت عنه الموسوعة العربية :

« أعظم شعراء اليونان ، وصفه نقادهم بأنه البداية والنهاية ، وأنه معلمهم ونبيهم ، بعث نهضتهم ، وخلق منهم أمة قوية تؤمن بدين واحد ، وتتخذ لغة واحدة . نظم الإلياذة والأوديسا باللهجة الأيونية التى امتزجت بكثير من الألفاظ الأيولية .

وكانت المشكلة الهوميرية أخطر موضوع فى الدراسات اليونانية حتى أواخر القرن التاسع عشر ، ومجملها أن هوميروس لم يوجد ، وأنه بالتالى لم ينظم الملحمتين ، وبعد الوصول إلى نتائج الحفريات والدراسات اللغوية المقارنة أجمع النقاد فى القرن العشرين على أن هوميروس وجد بالفعل ، وأنه ناظم الملحمتين ، ويرجحون أنه عاش فى القرن الثامن قبل الميلاد فى آسيا الصغرى ، ولقد ادعت كثير من المدن أنه كان منها ، أشهرها أثينا وأزمير وخيوس وكولوفون .

ويعتبر هوميروس أول شعراء اليونان وأعظمهم شأنا ، وأشدهم تأثيرا فى أدباء الغرب جميعا فى مختلف العصور .

ومازالت الإلياذة والأوديسة تعتبران المثل الأعلى لشعر الملاحم ، لامتيازهما بالروعة والفخامة وسمو الأسلوب ، ولذا ترجمتا إلى معظم اللغات الحية ، وقد

ترجم سليمان البستانى الإلياذة شعرا باللغة العربية فى القرن الماضى » .

وقال عنه الشهرستانى :

« هو من كبار القدماء ، الذى يجريه افلاطون وأرسطوطاليس فى أعلى المراتب ، ويستدل بشعره لما كان يجمع فيه من إتقان المعرفة ، ومتانة الحكمة ، وجودة الرأى ، وجزالة اللفظ »

ثمن ذلك قوله :

● لا خير فى كثرة الرؤساء[1] .

● من يعلم أن الحياة لنا مستعبدة ، والموت معتق مطلق ، آثر الموت على الحياة .

● إن الإنسان الخيّر أفضل من جميع ما على الأرض ، والإنسان الشرير أخسّ وأوضع من جميع ما على الأرض .

● لِنْ تنبُل ، واحلم تعزّ ، ولا تكن معجبا فتمتهن ، واقهر شهوتك ، فإن الفقير من انحطّ إلى شهواته .

● الدنيا دار تجارة ، والويل لمن تزوّد منها بالخسارة .

● الأمراض ثلاثة أشياء : الزيادة ، والنقصان فى الطبائع الأربع[2] ، وما تهيجه الأحزان ، فشفاء الزائد والناقص فى الطبائع الأدوية ، وشفاء ما تهيجه الأحزان كلام الحكماء والإخوان .

---

(١) قال الشهرستانى : لما فى كثرة الرؤساء من الاختلاف الذى يأتى على حكمة الرئاسة بالإبطال .

(٢) كان القدماء يعتقدون أن الصحة فى اعتدال الطبائع الأربع وهى الدم والبلغم والمرة السوداء ، والمرة الصفراء ، فإذا زادت إحداها أو نقصت اعتل الجسم .

● العمى خير من الجهل ، لأن أصعب ما يخاف من العمى التهور فى بئر ينهدّ منه الجسد ، والجهل يتوقع منه هلاك الأبد .

● إن الأدب للإنسان ذخر لا يسلب .

● إن الأرض تلد كل شيء ثم تسترده[٣] .

● إن كنت ميتا فلا تذهب مذهب من لا يموت .

● إذا أراد الله خلاصك عبرت البحر على البادية .

● إن الأب هو من ربى لا من ولد .

● ليكن فرحك بما تدخره لنفسك دون ما تدخره لغيرك[٤] .

● الكرم يحمل ثلاثة عناقيد : عنقود الالتذاذ ، وعنقود الشكر ، وعنقود الشيم .

● إنى لأعجب من الناس أن مكّنهم الله من الاقتداء بالملائكة ، فيدعون ذلك ويميلون إلى الاقتداء بالبهائم .

● لكل أمر محمود مقدمة ، ومقدمة كل المحمودات الحياء ، ولكل أمر مذموم مقدمة ، ومقدمة كل المذمومات القحة .

● لا تفعلن شيئا إذا عيّرت به غضبت ، فإنك إذا فعلته كنت أنت القاذف لنفسك .

● ارع الفضائل ترعك المحبة .

---

(٣) يقول الله تعالى (منها خلقناكم ، وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة أخرى) .

(٤) ماتدخره لنفسك : العلم والحكمة ، وماتدخره لغيرك : المال .

سولون

سولون مشرّع ومصلح أثينى ، توفى عام ٥٥٩ ق . م ، عهد إليه بالحكم ، ومنح سلطة كاملة ليخفف وطأة الحياة الاقتصادية ، ويعيد النظر فى الدستور الأثينى ، فتمّ على يديه كثير من الإصلاحات الدستورية ، كان أهمها توزيع الحقوق والواجبات تبعا لثروة المواطنين ، وفتح أبواب الجمعية التشريعية لكل المواطنين الأحرار ، وإنشاء محاكم شعبية يختار قضاتها من جميع طبقات الأمة ، وبقيت نظمه الأساس الذى قامت عليه «الدولة» .

[من الموسوعة العربيه بتصرف] .

قال عنه الشهرستانى : وكان عند الفلاسفة من الأنبياء العظام بعد هرمس وقبل سقراط ، وأجمعوا على تقديمه والقول بفضائله .

ومن حكم سولون :

● تزوّد من الخير وأنت مقبل ، خير لك من أن تتزودّ منه وأنت مدبر .

● إن أمور الدنيا حق وقضاء ، فمن أسلف فليقض ، ومن قضى فقد وفى .

● إن فعل الجاهل فى خطابه أن يذمّ غيره ، وفعل طالب الأدب أن يذم نفسه ، وفعل الأديب ألا يذم نفسه ولا غيره .

● إذا انكبّ الدّنّ ، وأريق الشراب ، وانكسر الإناء ، فلا تغتم ، بل قل : كما أن الأرباح لا تكون إلا فيما يباع ويشترى ، كذلك الخسرانات

لا تكون إلا فى الموجودات ، فانف الغم والخسارة عنك ، فإن لكلٍ ثمنا ، وليس يجيء بالمجان .

● قيل لسولون : ما الذى يفسد أخلاق الناس ؟ قال : الدرهم .

● وسئل : من الجواد ؟ قال : من جاد بماله ، وصان نفسه عن مال غيره.

● وسئل : ما أصعب الأشياء على الإنسان ؟ فقال : أن يعرف الإنسان نفسه ، ويكتم سرّه .

● سئل : أيما أحمد فى الصبا ، الحياء أم الخوف ؟ قال : الحياء ، لأن الحياء يدلّ على العقل ، والخوف يدل على المقة والشهوة .

● قال سولون لابنه : دع المزاح فإن المزاح لقاح الضغائن .

● سأله رجل فقال : هل ترى أن أتزوّج أو أدع ؟ قال : أىّ الأمرين فعلت ندمت عليه !

● رأى رجلا عثر ، فقال : لأن تعثر برجلك خير من أن تعثر بلسانك .

● سئل : ما الكرم ؟ قال : النزاهة عن المساوئ .

● سئل : ما الحياة ؟ قال : التمسك بأمر الله تعالى .

● سئل : ما النوم ؟ فقال : النوم موتة خفيفة ، والموت نومة طويلة .

● سئل : ما فضل علمك على علم غيرك ؟ فقال : معرفتى بأن علمى قليل .

● ليكن اختيارك من الأشياء حديثها ، ومن الإخوان أقدمهم .

● أنفع العلم ما أصابته الفكرة ، وأقله نفعاً ما قلته بلسانك .

● ينبغى أن يكون المرء حسن الشكل فى صغره ، وعفيفا عند إدراكه ، وعدلا فى شبابه ، وذا رأى فى كهولته ، وحافظا للستر عند الغناء ، حتى

لا تلحقه الندامة .

● ينبغى للشاب أن يستعد لشيخوخته مثل ما يستعدّ الإنسان للشتاء من البرد الذى يهجم عليه .

● يا بنى ، احفظ الأمانة تحفظك ، وصنها حتى تصان .

● لا تكرموا الجاهل فيستخف بكم ، ولا تتصلوا بالأشرار فتعدّوا فيهم ، ولا تعتمدوا الغنى إن كنتم تلامذة الصدق ، ولا تهملوا أمر أنفسكم فى أيامكم ولياليكم ، ولا تستخفوا بالمساكين فى جميع أوقاتكم .

● أخلاق محمودة وجدتها فى الناس ، إلا أنها توجد فى قليل ؛ صديق يحبّ صديقه غائبا كمحبته حاضرا ، وكريم يكرم الفقراء كما يكرم الأغنياء ، ومقرٌّ بعيوبه إذا ذكرت ، وذاكر يوم نعيمه فى يوم بؤسه ، ويوم بؤسه فى يوم نعيمه ، وحافظ لسانه عند غضبه ، وآمر بالمعروف دائماً .

● جوعوا إلى الحكمة ، واعطشوا إلى عبادة الله تعالى ، قبل أن يأتيكم المانع منهما .

زينون

فى تاريخ الفلسفة اليونانية شخصيتان عرفتا باسم زينون ، أحدهما زينون الإيلى ، نسبة إلى إيليا بإيطاليا ، وقد عاش فيما بين سنتى ٤٩٠ ، ٤٣٠ ق . م والآخر زينون الرواقى ٣٣٦ – ٢٦٤ ق . م وهو مؤسس المذهب الرواقى وزينون الإيلى هو تلميذ برمنيدس ، وكان منطقيا مقتدرا على الحجاج فدافع عن مذهب أستاذه الذى يرى أن الوجود يقوم على أصلين ، هما الوحدة والثبات .

وأما زينون الرواقى الذى ولد بعد وفاة زينون الإيلى بنحو قرن فقد اهتم بالمنطق والطبيعة والأخلاق ، يقول زينون : « الفلسفة بستان ؛ المنطق سوره ، والطبيعة شجره ، والأخلاق ثمره » .

والفلسفة الرواقية تدعو الناس إلى الصبر والاحتمال .

وقد تحدث الشهرستانى حديثا مقتضبا عن زينون الأكبر فقال : زينون الأكبر بن ماوس من أهل قنطس من الحكماء الأصول .

وأورد له هذه الحكم :

● أكثروا من الإخوان ، فإن بقاء النفوس ببقاء الإخوان ، كما أن شفاء الأبدان بالأدوية .

● رأى زينون فتى على شاطئ البحر محزونا يتلهف على الدنيا ، فقال له : يا فتى ، ما يلهفك على الدنيا ! ! لو كنت فى غاية الغنى وأنت راكب لجّة

البحر قد انكسرت السفينة وأشرفت على الغرق ، كانت غاية مطلوبك النجاة وتفوت كل ما فى يدك ! قال : نعم . قال : لو كنت ملكا على الدنيا وأحاط بك من يريد قتلك ، كان مرادك النجاة من يده وتفوت كل ملكك ! قال : نعم ، قال : فأنت الغنى ، وأنت الملك الآن ، فتسلى الفتى بما سمع .

● كن بما تأتى من الخير مسرورا ، وبما تجتنب من الشر محبورا .

● قيل لزينون : أى الملوك أفضل ؟ ملك اليونانيين أم ملك الفرس ؟ قال : من ملك غضبه وشهوته .

● سئل زينون بعد أن هرم : ما حالك ؟ فقال : هو ذا أموت قليلا قليلا .

● قيل لزينون : إذا متّ من يدفنك ؟ قال : من يؤذيه نتن جيفتى .

● سئل زينون : ما الذى يُهرم ؟ قال : الغضب والحسد ، وأبلغ منهما الغم .

● لا تخف موت البدن ، ولكن يجب عليك أن تخاف موت النفس ؛ فقيل له : لم قلت : خف موت النفس ، والنفس الناطقة لا تموت ؟ فقال : إذا انتقلت النفس الناطقة من حدّ النطق إلى حدّ البهيمة – وإن كان جوهرها لا يبطل – فقد ماتت من العيش العقلى .

● أعط الحق من نفسك ، فإن الحق يخصمك إن لم تعطه حقه .

● محبة المال وتد الشر ، لأن سائر الآفات تتعلق بها ، ومحبة الشهوات وتد العيوب ، لأن سائر العيوب متعلقة بها .

● أحسن مجاورة النعم فتنعم بها ، ولا تسئ بها فتسىء بك .

● إذا أدركت الدنيا الهارب منها جرحته ، وإذا أدركها الطالب لها قتلته .

● سئل زينون : بأى شىء يخالف الناس فى هذا الزمان البهائم ؟ فقال : بالشرور .

● قيل لزينون [وكان لا يقتنى قوت يومه] إن الملك يبغضك ، فقال : وهل يحب الملك من هو أغنى منه[1] .

(١) إذا رزق الإنسان القدرة على الاستغناء كان ملكا متوجا ، فأقل الناس حاجة أغناهم ، ولقد نرى كثيرا ممّن يعتزون بغناهم وثرائهم يبغضون كل فقير يعتز بنفسه وبشخصه ، ويعتبر المال شيئا خارجا عن النفس ، فلا يقيم له حسابا فى ميزان العلاقات الإنسانية ، لأن المال فى الحقيقة لايدفع ألمًا ، ولايشفى مرضًا ، ولايحول دون الموت ، فليكفكف أصحاب الأموال من كبرهم وخيلائهم ، فالغنى والفقير كلاهما مرزوق بطعامه وشرابه ولباسه ومسكنه ، والتفاوت فى هذه الأشياء لاخطر له ، والقليل من الطعام يملأ البطن ، والبسيط من الثياب يستر العورة ، والغنى والسعادة فى القناعة والرضا .

بقراط

طبيب يونانى عاش فيما بين ٤٦٠ ، ٣٧٠ ق . م يعرف بأبى الطب ، فقد فصل الطب عن الخرافات والغيبيات ، وأقامه على أساس علمى .

ومجمل نظريته عن المرض أن الجسم يحتوى على أربعة أخلاط : الدم والبلغم والسوداء والصفراء ، وأن علاقة هذه الأخلاط بعضها ببعض تقرر صحة المرء ومزاجه ، وقد أبطل الطب الحديث هذه النظرية ، وقد عرف فى الكتب العربية باسم بقراط ، وترجم العرب كتبه إلى العربية وأضافوا إليها شروحا وتفاسير .

وهو أول من وضع ميثاق شرف لمهنة الطب فى التاريخ ، وأظن أن للأطباء قسما يقسمونه يسمى قسم : بقراط [1] .

ويقول الشهرستانى : بقراط واضع علم الطب الذى قال بفضله الأوائل والأواخر ، وكان أكثر حكمته فى الطب وشهرته به . . وكان لا يأخذ على المعالجة أجرة من الفقراء وأوساط الناس . . وله أيمان معروفة على هذه الشرائط .

ومن حكمه :

● من سقى السمّ من الأطباء ، وألقى الجنين ، ومنع الحبل ، واجترأ على الجنين ، فليس من شيعتى .

---

(١) وقد ازداد الإحساس مؤخرا بضرورة وضع مواثيق شرف للمهن المختلفة .

● ومن حكمة بقراط العملية أن أميرا عشق جارية من جوارى أبيه الملك ، وهام بها حتى اعتلت صحته ، ونهك بدنه ، واصفر لونه ، فأحضر بقراط ، فجسّ نبضه ، وفحصه ، فلم ير أثر علة ، فذاكره حديث العشق ، فرآه يهشّ لذلك ويطرب ، فاستخبر الحال من مربية الأمير فأفادت بأنه لا يخرج من القصر ، فطلب بقراط من الملك أن يجعل رئيس الخصيان تحت طاعته ، فأمر الملك بذلك ، فطلب بقراط من رئيس الخصيان ، أن يخرج له جميع جوارى الملك ونسائه ، ففعل ذلك وبقراط يجس نبض الأمير ، فلما خرجت إحدى محظيات الملك ودخلت غرفة الأمير لحظ بقراط أن نبض الأمير قد اشتد ، فعرف أن الأمير يعشق هذه المحظية ، فصار بقراط إلى الملك وقال له : ابن الملك قد عشق من الوصول إليها صعب ، قال : ومن ذاك ؟ قال : هو يحب حليلتى ، قال : أنزل عنها ولك عنها بدل ، فتحازن بقراط ووجم ، وقال : هل رأيت أحدا كلف أحدا طلاق امرأته ؟ ولا سيما الملك فى عدله ونصفته يأمرنى بمفارقة حليلتى ، ومفارقتها مفارقة روحى ؟ قال الملك : إنى أوثر ولدى عليك ، وأعوضك من هى أحسن منها ، فامتنع حتى بلغ الأمر إلى التهديد بالسيف .

حينئذ قال بقراط : إن الملك لا يسمى عدلا حتى ينتصف من نفسه ما ينتصف من غيره ، أرأيت لو كانت العشيقة حظية الملك ؟ قال : يا بقراط عقلك أتمّ من معرفتك ، ونزل عنها لابنه ، وبرئ الفتى من مرضه .

● قيل لبقراط : ما أفضل ما يقتنى الإنسان ؟ قال : الصديق المخلص .

● قيل لبقراط : أى العيش خير ؟ قال : الأمن مع الفقر خير من الغنى مع الخوف .

● قيل لبقراط : لم يثقل الميت ؟ قال : لأنه كان اثنين ، أحدهما خفيف رافع ، والآخر ثقيل واضع ، فلما انصرف أحدهما وهو الخفيف الرافع ثقل الثقيل الواضع .

● سئل بقراط : ما بال الإنسان أثور ما يكون بدنه إذا شرب الدواء ؟ قال : مثل ذلك مثل البيت ، أكثر ما يكون غبارا إذا كنس !

● غذاء الطبيعة من أنجع أدويتها .

● الإقلال من الضار خير من الإكثار من النافع .

● إياك أن تأكل إلا ما تستمرئ ، وأما ما لا تستمرئ فإنه يأكلك !

● ماكان كثيرا فهو مضاد للطبيعة ، فلتكن الأطعمة والأشربة والنوم والجماع والتعب قصدا .

● كان له ابن لا يقبل الأدب ، فقالت له امرأته : إن ابنك هو منك فأدّبه ، قال لها : هو منى طبعا ، ومن غيرى نفسا ، فما أصنع به ؟

● قال لتلاميذه : اقسموا الليل والنهار ثلاثة أقسام ؛ فاطلبوا فى القسم الأول العقل الفاضل ، واعملوا فى القسم الثانى بما أحرزتم من ذلك العقل ، ثم عاملوا فى القسم الثالث من لا عقل له ، وانهزموا من الشر ما استطعتم .

● ودخل على عليل فقال له : أنا والعلة وأنت ، فإن أعنتنى عليها بالقبول لما تسمع منى صرنا اثنين ، وانفردت العلة فقوينا عليها ، والاثنان إذا اجتمعا على واحد غلباه .

● العمر قصير ، والصناعة طويلة ، والوقت ضيق ، والزمان جديد ، والتجربة خطر ، والقضاء عسر .

● الحيطان والبروج لا تحفظ المدن ، ولكن تحفظها آراء الرجال وتدبير الحكماء .

● لما حضرته الوفاة قال : خذوا جامع العلم منى : من كثر نومه ، ولانت طبيعته ، وندیت جلدته طال عمره .

● استيئنوا بالموت فإن مرارته فى خوفه .

ديمقريطس

يقول عنه الشهرستانى « وهو من الحكماء المعتبرين فى زمان بهمن بن اسفنديار ، وهو وبقراط كانا فى زمن واحد قبل أفلاطون ، وله آراء فى الفلسفة ، وخصوصا فى مبادئ الكون والفساد ، وكان أرسطو يؤثر قوله على قول أستاذه أفلاطون الإلهى ، وما أنصف » .

وديمقريطس يرى أن العالم مؤلف من ذرات متجانسة فى طبيعتها ، لكنها مختلفة حجماً وشكلا وثقلا ، ولا تدرك بالحواس ، ولا تنقسم ، ولا تفنى وتتحرك دائما فيلتصق بعضها ببعض ، وتتكون الأجسام .

ويطبق مذهبه هذا على الإنسان والكائنات الحية ، فيرى أن الكائنات الحية تحيا عن طريق ذرات من نوع خاص ، ذرات نارية لطيفة مستديرة ، تختلط بذرات الجسم فى كل مكان منه ، ولكن يلاحظ أنها تتجمع فى أماكن معينة ، ففى العقل أو المخ توجد أرقى أنواع الذرات ، وعن هذا الطريق ينشأ التفكير ، وفى القلب نوع أدنى من الذرات وعن هذا الطريق ينشأ الخيال ، وهناك نوع ثالث فى الكبد وعنه تنشأ العواطف . .

ويرى أن التأثيرات التى تأتى من الخارج على شكل ذرات سيالة تنتقل إلى أعضاء الحسّ ، ومنها إلى العقل .

ويهمنا رأيه فى الأخلاق فهو يتصورها تصورا حسيا ويرى أن السعادة فى

اللذة والخلو من الألم ، وقد انتهج طريقه تلميذه أبيقور ، ولكنه انتهى إلى القول بالسعادة العقلية التى تتحقق بالهدوء والسكينة والسلام النفسى .

ومن حكم ديمقريطس :

● إن الجمال الظاهر يشبه به المصورون بالأصباغ ، ولكن الجمال الباطن لا يشبه به إلا من هو له بالحقيقة ، وهو مخترعه ومنشئه .

● ليس ينبغى أن تعدّ نفسك من الناس ما دام الغيظ يفسد رأيك ويتبع شهوتك .

● ليس ينبغى أن يمتحن الناس فى وقت ذلتهم ، بل فى وقت عزتهم وملكهم ، وكما أن الكير يمتحن به الذهب ، كذلك الملك يمتحن به الإنسان فيتبين خيره وشره .

● ينبغى أن تأخذ فى العلوم بعد أن تنفى عن نفسك العيوب ، وتعودها الفضائل فإنك إن لم تفعل هذا ، لم تنتفع بشىء من العلوم .

● من أعطى أخاه المال فقد أعطاه خزائنه ، ومن أعطاه علمه ونصيحته فقد وهب له نفسه .

● لا ينبغى أن تعدّ النفع الذى فيه الضرر العظيم نفعا ، ولا الضرر الذى فيه النفع العظيم ضررا ، ولا الحياة التى لا تحمد أن تعدّ حياة .

● مثل من قنع بالاسم كمثل من قنع عن الطعام بالرائحة .

● عالم معاند خير من جاهل منصف .

● ثمرة الغرة[1] التوانى ، وثمرة التوانى الشقاء ، وثمرة الشقاء ظهور البطالة

---

(١) الغرة : بالكسر ، الغفلة .

وثمرة البطالة السفه والعبث والندامة والحزن .

● يجب على الإنسان أن يطهر قلبه من المكر والخديعة ، كما يطهر بدنه من أنواع الخبث .

● لا تطمع أحداً أن يطأ عقبك اليوم فيطأك غداً .

● لا تكن حلواً جدا لئلا تبلع ، ولا مرا جدا لئلا تلفظ .

● ذنب الكلب يكسب له الطعام ، وفمه يكسب له الضرب .

● قيل له : لا تنظر ، فغمض عينيه ، قيل له : لا تسمع ، فسدّ أذنيه . قيل له : لا تتكلم ، فوضع يده على شفتيه . قيل له : لا تعلم ، قال : لا أقدر[٢] .

● مثل العلم مع من لا يقبل وإن قبل لا يعمل ، كمثل دواء مع سقيم وهو لا يداوى به .

---

(٢) معنى الحكمة أن الإنسان يستطيع أن يستغنى عن حواسه ، أما عقله فلا .

سقراط

سقراط أحد ثلاثة فلاسفة من أكابر الفلسفة اليونانية ، ولد حوالى سنة ٤٦٩ ومات سنة ٣٩٩ ق . م ، كان أبوه نحاتا يصنع التماثيل وكانت أمه قابلة تولد النساء ، صعد إلى معبد دلفى فقالت له كاهنة المعبد : أنت أحكم اليونان ، فلم يفهم قولتها ، حتى تبين له أنه جاهل كغيره ، لكنه يعلم أنه جاهل ، وهم لا يعلمون ، أهمل شئونه الخاصة ، واعتقد أن له رسالة فى الإصلاح الخلقى والعقلى ، فسار فى الطرقات والأسواق والملاعب ، يتحدث إلى الناس فى الفضيلة والعدل والتقوى ، ويدخل مع السوفسطائيين فى جدل وحوار ، وقد عنى بهدم مذهبهم ، فهم يزعمون أنه لا حقيقة لشىء من الأشياء ، وأن الحق ما يراه الشخص حقا ، وأن الحواس هى الطريق الوحيد إلى المعرفة .

أما محور فلسفة سقراط فهو القول بالحقائق الثابتة التى يمكن استنباطها من الحالات الجزئية المتغيرة ، وأن الإنسان إذا أدرك بعقله فضيلة من الفضائل سلك بمقتضاها ، فالعلم والفضيلة شىء واحد لا يختلف باختلاف الأفراد ، وإذن فالجهل مصدر الفساد والشر ، والعلم مصدر الخير والصلاح .

وكانت آراؤه سببا فى أن كاد له أعداؤه فاتهموه بأنه يفسد أخلاق الشبان ويغريهم بتعاليمه ، فحوكم وحكم عليه بأن يشرب السم ، فشربه راضيا مسرورا ، ورفض خطة من تلاميذه بتيسير طريق الهرب أمامه .

يقول عنه الشهرستانى : سقراط بن سفرينسقوس الحكيم الفاضل الزاهد ، من أهل أثينية ، وكان قد اقتبس الحكمة من فيثاغورس وأرسالاوس ، واقتصر من أصنافها على الإلهيات والأخلاقيات ، واشتغل بالزهد ورياضة النفس وتهذيب الأخلاق ، وأعرض عن ملذات الدنيا ، واعتزل إلى الجبل ، وأقام فى غار به ، ونهى الرؤساء الذين كانوا فى زمانه عن الشرك وعبادة الأوثان ، فثاروا عليه العامة ، وألجئوا ملكهم إلى قتله ، فحبسه الملك ، ثم سقاه السم ، وقضيته معروفة.

قال الشهرستانى : ومما اختلف فيه فيثاغورس وسقراط : أن الحكمة قبل الحق أم الحق قبل الحكمة ؟ وأوضح القول فيه بأن الحق أعم من الحكمة ، إلا أنه قد يكون جليا ، وقد يكون خفيا ، وأما الحكمة فهى أخصّ من الحق ، إلا أنها لا تكون إلا جلية ، فإذن الحق مبسوط فى العالم ، مشتمل على الحكمة المستفيضة فى العالم ، والحكمة موضحة للحق المبسوط فى العالم ، والحق ما به الشىء ، والحكمة ما لأجله الشىء.

ومن حكم سقراط :

- الحكمة إذا أقبلت خدمت الشهوات العقول ، وإذا أدبرت خدمت العقول الشهوات.
- لا تكرهوا أولادكم على آثاركم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم.
- قلوب المغرقين فى المعرفة بالحقائق منابر الملائكة ، وبطون المتلذذين بالشهوات قبور الحيوانات الهالكة.
- للحياة حدان : أحدهما الأمل ، والثانى الأجل ، فبالأول بقاؤها

وبالآخر فناؤها .

● عندما فتشت عن علة الحياة وجدت الموت ، وعندما وجدت الموت ألفيت الحياة .

● ينبغى أن تغتم بالحياة وتفرح بالموت ، لأنا نحيا لنموت ، ونموت لنحيا .

● يكفى من تأجج النار نورها .

● لو أن لسانا صادقا أمر جبلا أن يزول لزال .

● من غُلب عقله على هواه افتضح .

● قيل لسقراط : ما رأيناك قط مغموما ، فقال : لأنه ليس لى شىء متى ضاع اغتممت عليه .

● أضر الأشياء على الإنسان رضاه عن نفسه ، فإن من رضى عن نفسه انقطع عليه بلوغ نهاية ما يلزمه .

● الحكمة سلم العروج إلى الله تعالى .

● دواء الغضب الصمت .

● راحة الحكماء فى وجود الحق ، وراحة السفهاء فى وجود الباطل .

● رأى سقراط امرأة مصلوبة على شجرة فقال : ليت الشجر كله أثمر مثل هذه الثمرة[1] .

● رأى سقراط صيادا واقفا على امرأة جميلة يبتاع منها شيئا ، فقال له سقراط : لتنفعك صناعتك ، إن هذه مصيدة فاحذر أن تقع فيها .

---

(١) لعل سر عداوة الحكماء للمرأة أنها تغلب العاطفة على العقل ، وتهتم بالتافه من الأمور ، وستأتى أقوال لديوجانس الكلبى شبيهة بقول سقراط ، بل ربما أوجع . ونحن لا نوافق الحكيمين على رأيهما ، فالرجل والمرأة كلاهما مخلوق من نفس واحدة ، ولاتفاضل بينهما إلا بالعمل الطيب الصالح .

● شتم بعض السفهاء سقراط ، فاستأذنه تلامذته فى جوابه فقال : ليس بحكيم من أذن فى الشر.

● العدل أمان النفس.

● العشق قوة هيأها الله تعالى لبقاء الحيوان ، وإنما صار العاشق يعشق أحسن الصور ، ليكون ما يثمر أحسن الصور.

● عطية كل امرئ على قدر همته.

● قيل لسقراط : متى ابتدأت بطلب الفضيلة ؟ فقال : منذ ابتدأت بتوبيخ نفسى.

● قال سقراط لامرأته حين جزعت لقتله ، ما يبكيك ؟ قالت : لأنك تقتل مظلوما ، فقال : يا عاجزة الرأى ، أكنت تريدين أن أقتل بحق ؟ !

● قال سقراط لفتى استشاره فى الزواج : احذر أن يعرض لك كما يعرض للسمك مع الشبكة ، فإن السمك الخارج منها يطلب الدخول فيها ، والداخل فيها يطلب الخروج منها.

● قيل لسقراط : ما بالك تعاشر الأحداث دائما ؟ فقال : أفعل ما يفعله الراضة ، فإنهم يرومون رياضة الأفلاء دون القرح[٢].

● قيل لسقراط : ما بال تلاميذك يقولون الشعر وأنت لا تقوله ؟ فقال : أنا كالمسنّ الذى يجعل الحديد قاطعا ، وهو لا يقطع.

● قيل لسقراط : أى السباع أجمل ؟ قال : المرأة.

---

(٢) الراضة : من يدربون الخيل ، والأفلاء جمع فلو بفتح الفاء وسكون اللام وهو المهر ، والقرح بضم القاف وتشديد الراء مع الفتح هو الفرس الكبير.

● قيل لسقراط : ذكرت لفلان فلم يعرفك ؟ فقال : لأنى لا أعنى بمعرفة خسيس .

● اللّذة خناق من عسل .

● مال العالم معه حيث سلك[٣] .

● امتحن المرء بفعله لا بقوله .

● ما أبعد من استهوته الشهوات من أن يكون فاضلا .

● من أعطى الحكمة فجزع لفقد الذهب والفضة ، كان كمن أعطى السلامة ، فجزع لفقد الوصب ، لأن ثمرة الحكمة السلامة ، وثمرة الذهب والفضة الألم والشقاوة .

● من عدم العقل لم يزده السلطان عزا ، ومن عدم القناعة لم يزده المال غنى ، ومن عدم الإيمان لم تزده الرواية فقها .

● نظر سقراط إلى شيخ يحب النظر فى العلوم ويستحى من ذلك ؛ فقال له : يا هذا ، تستحى أن تكون أفضل مما أنت عليه فى آخر عمرك .

● ينبغى للعاقل أن يخاطب الجاهل مخاطبة الطبيب للمريض .

● قال سقراط لبعض تلاميذه : تزوج يا بنى ، فإنك إن ظفرت بزوجة طيبة عاقلة عشت سعيدا ، وإن رزئت بزوجة طائشة مناكفة صرت فيلسوفا[٤] .

---

(٣) لأن علمه محفوظ فى صدره وعقله .

(٤) يقول الرسول ﷺ « الدنيا متاع ، وخير متاعها الزوجة الصالحة » .

أفلاطون

أفلاطون فيلسوف يونانى تتلمذ على سقراط ، ولد حوالى سنة ٤٢٧ وتوفى سنة ٣٤٧ ق . م أسس فى أثينا أكاديمية لتعليم الفلسفة والرياضة ، ومؤلفاته عبارة عن محاورات ، منها المجموعة المعروفة باسم المحاورات السقراطية .

وفلسفة أفلاطون تدور حول الجدل والطبيعة والأخلاق ، وتأتى نظرية المثل فى مقدمة الآراء التى انفرد بها ، ومحصل هذه النظرية أن المعانى الكلية ذات وجود فى الخارج مستقل عن وجود الجزئيات التى تتمثل فيها تلك المعانى ، بمعنى أن لكل نوع من أنواع الموجودات مثال أو فكرة جاءت الأفراد الجزئية على مثاله ، وبمقدار مايقترب الفرد من مثاله يحقق ماهية نوعه ، وهذه المثل ثابتة دائمة سرمدية .

وأعلى مثال هو فكرة الخير ، وهو فى عالم المثل بمثابة الشمس فى عالم المحسوسات ، فكما أن المحسوسات لاترى إلا فى ضوء الشمس ، فكذلك لاترى الأفكار إلا فى ضوء مثال الخير .

ويرى أفلاطون أن عالم الجزئيات ليس له وجود حقيق إلا بمقدار مايشارك فى عالم المثل ، ولولا المثل لما فهم عالم المحسوسات ، فأنت تعرف أن هذا الفرد إنسان ، لأنك أولا تعرف مثال الإنسان .

والنفس الإنسانية كانت قبل حلولها فى الجسد تعيش فى عالم المثل فانطبعت عليها ، ولذلك فمعرفة الإنسان لماهيات الأشياء تسبق تجربته الحسية .

والمعرفة عند أفلاطون تذكر لما انطبعت به النفس قبل حلولها فى الجسد ، وليست تحصيلا من التجربة .

والنفس خالدة ، لأنها بسيطة ، والبسيط لايتحلل .

والفضيلة عنده هى سيطرة الجانب العقلى من النفس على جانبى الشهوة والغضب ، والعدل تحقيق فضيلة العقل ، والحكمة هى ضبط الشهوة بالعفة ، والغضب بالشجاعة .

والمجتمع عنده يشبه قوى النفس ، فالحكام والفلاسفة يمثلون عقل المجتمع ، والشجاعة هى طبقة الحراس ، والعفة هى طبقة العمال ، والعدل فى تحقيق هذه الفضائل الثلاث ، بأن تلتزم كل طبقة حدودها .

وقد حظيت فلسفة أفلاطون بالقبول من العقل الإسلامى ، لقوله بالتوحيد كما نالت نظريته فى خلود الروح أو النفس[1] اهتمام فيلسوف الإسلام الشيخ الرئيس ابن سينا ، فصورها أجمل تصوير فى قصيدته العينية المشهورة ، وهى قصيدة غنية بالمعانى والإيحاءات والرموز ، ونستأذن القارئ فى أن نرددها على مسمعه يقول ابن سينا :

هبطتْ إليك من المحلّ الأرفع ... ورقاءُ ذات تعزّز وتمنّع

محجوبة عن كل مقلة عارف ... وهى التى سفرتْ ولم تتبرقع

وصلتْ على كره إليك وربما ... كرهت فراقك وهى ذات تفجّع

أنفتْ ومأأنستْ فلما واصلت ... ألفت مجاورة الخراب البلقع

---

(١) عالجنا هذه القضية فى مقال نشر بمجلة الثقافة فى شهر مايو سنة ١٩٧٨ ، وقد أشرنا إليه فى هامش سابق .

وأظنها نسيت عهودا بالحمى ... ومنازلا بفراقها لم تقنع
حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها ... عن ميم مركزها بذات الأجرع
علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت ... بين المعالم والطلول الخضّع
تبكي إذا ذكرت عهودًا بالحمى ... بمدامع تهمى ولم تتقطع
وتظلّ ساجعة على الدّمن التى ... درست بتكرار الرياح الأربع
إذ عاقها الشَّرك الكثيف وصدّها ... قفص عن الأوج الفسيح المربع
حتى إذا قرب المسير من الحمى ... ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع
وغدتْ مفارقة لكل مخلَّف ... عنها ، حليف الترب غير مشيّع
سجعتْ وقد كُشف الغطاء فأبصرت ... ماليس يُدرك بالعيون الهجّع
وغدت تغرد فوق ذروة شاهق ... والعلم يرفع كل من لم يرفع
فلأىّ شىء أهبطت من شامخ ... عال إلى قعر الحضيض الأوضع ؟
إن كان أهبطها الإله لحكمة ... طُويت على الفذّ اللبيب الأروع
فهبوطها إن كان ضربة لازب ... لتعود سامعة لما لم تسمع
وتعود عالمة بكل خفية ... فى العالمين فخرقها لم يرقع
وهى التى قطع الزمان طريقها ... حتى إذا غربت بغير المطلع
فكأنها برق تألق بالحمى ... ثم انطوى فكأنه لم يلمع
أنعم بردّ جواب ما أنا فاحص ... عنه فنار العلم ذات تشعشع

ونتنقل الآن إلى إيراد شيء من حكمه :

ومن حكم أفلاطون :

● إن الأشياء التى لاينبغى للإنسان أن يجهلها ، منها : أن له صانعا ، وأن صانعه يعلم أفعاله .

● العالم عالمان ، عالم العقل وفيه المثل العقلية والصور الروحانية ، وعالم الحسّ وفيه الأشخاص الحية والصور الجسمانية .

● إن النفوس كانت فى عالم الذكر مغتبطة مبتهجة بعالمها وما فيه من الرَّوْح والبهجة والسرور ، فأهبطت إلى هذا العالم حتى تدرك الجزئيات ، وتستفيد ماليس لها بذاتها بواسطة القوى الحسية ، فسقطت رياشها قبل الهبوط ، فهبطت حتى يستوى ريشها ، وتطير إلى عالمها بأجنحة مستفادة من هذا العالم .

● ينبغى للمرء أن ينظر كل يوم إلى وجهه فى المرآة ، فإن كان قبيحا لم يفعل قبيحا فيجمع بين قبيحين ، وإن كان حسنا لم يشنه بقبيح .

● إنك لن تجد الناس إلا أحد رجلين ، إما مؤخرا فى نفسه قدّمه حظه ، أو مقدَّما فى نفسه أخره دهره ، فارض بما أنت فيه اختيارا ، وإلا رضيت اضطرارا .

● إن الفضيلة لاتتحقق بعمل واحد فاضل ، ولكن لتكون حقيقة ينبغى أن تكون نتيجة لماض عملى طويل .

● إذا بلغ المرء من الدنيا فوق مقداره تنكرت أخلاقه للناس[٢] .

---

(٢) لايفعل هذا إلا اللئيم ، أما الكرام فهم كما قال الشاعر :

إن الكرام إذا أيسروا ذكروا من كان يألفهم فى الموطن الخشن

● إذا أردت أن تعرف طبقتك من الناس فانظر إلى من تحبه لغير علة .

● إن الكتاب إذا فارق واضعه ، فلابدّ قبل وقوعه إلى من يعرف قدره ، ويمكنه الانتفاع به ، من أن يقع فى أيدى جهال يستهينون به ، ويقذفون واضعه ، بمنزلة ماينال الصبي من الشتم واللطم من سفهاء الناس .

● إحسانك إلى الحر يحركه إلى المكافأة ، وإحسانك إلى الوغد يحركه على معاودة المسألة .

● إذا صادقت رجلا وجب عليك أن تكون صديق صديقه ، ولا يجب عليك أن تكون عدو عدوه ، لأن هذا إنما يجب على خادمه ، ولايجب على مماثل له .

● إذا قامت حجتك فى المناظرة على كريم أكرمك ووقرك ، وإذا قامت على خسيس آذاك واضطغنها لك .

● إذا فسد الزمان كسدت الفضائل وضرّت ، ونفقت الرذائل ونفعت[٣] .

● إذا كان العشق من أجل قوى النفس ثبت ولم يتغير ، وإذا كان من أجل الجسد تغير بتغير الصورة والمزاج .

● أحسن مافى الأنفة الترفع عن معايب الناس ، وترك الخضوع لما زاد على الكفاية .

● إذا طلبت المال فاجعل زمان الاكتساب له أطول من زمان الاستمتاع به ، وإذا طلبت العلم فاجعل زمان الارتياض به أطول من زمان الجمع له .

(٣) فى هذا المعنى يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه « الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم » . ويقول المتنبى :

نعيب زماننا والعيب فينا ومالزماننا عيب سوانا

● أفضل الملوك من بقى بالعدل ذكره ، واستحلى من أتى بعده فضائله .

● إذا حاكمت رجلا فليكن فكرك فى حجته عليك أقوى من فكرك فى حجتك عليه ، واحذر أن يسبقك إلى الحق ، فإن سبقك إليه فرجوعك إلى الصواب أحسن من ظفرك به .

● أضعف الناس من ضعف عن كتمان سرّه ، وأقواهم من قوى على غضبه ، وأصبرهم من ستر فاقته ، وأغناهم من قنع بما تيسر له .

● إذا كبرت النفس استشعرت الخلود ، فعملت من الجميل مايبقى على الأزمنة المتطاولة ، وإذا نقصت آثرت عاجل الانتفاع على آجل الذكر .

● البخيل يسخو من عرضه بمقدار مايبخل به من ماله .

● البخلاء عفوهم عن عظيم الجرم أسهل عليهم من المكافأة على صغير الآلاء[٤] .

● بحبّ الدنيا صُمَّت الأسماع عن الحكمة ، وعميت القلوب عن نور البصيرة .

● التقوى رأس النجاح ، والتقى مفتاح الفضائل .

● تزينوا بالعدل والبسوا ثوب العفاف تفلحوا .

● اتقوا صولة الكريم إذا جاع ، واللئيم إذا شبع .

● تبكيت الرجل بالذنب بعد العفو إزراء بالصنيعة[٥]

● حرام على الملك السكر ، لأنه حارس المملكة ، ومن القبيح أن يحتاج الحارس إلى من يحرسه .

---

(٤) الآلاء : النعم

(٥) الصنيعة : المعروف

● الحلم لاينسب إلا لمن قدر على السطوة[٦].

● ليكن صديقك بمنزلة الغصن من الشجرة ينجذب معك فى يدك ، فإذا خليته رجع إلى موطنه من الصلة وحسن المحافظة .

● الحر يزيد محلك عنده تقدمه عليك ، والسفلة ينقصك ذلك عنده .

● الدليل على ضعف الإنسان أنه ربما أتاه الحظ من حيث لا يحتسب ، والمكروه من حيث لايرتقب .

● ذوو العيوب يستهدون عيوب الناس ، ويصدقون من زيادة المخبر عنها ، ليتسع العذر فيما هم عليه منها .

● الأسخياء يشتمون بالبخلاء عند الموت ، والبخلاء يشمتون بالأسخياء عند الفقر .

● الأشرار يتبعون مساوئ الناس ويتركون محاسنهم ، كما يتبع الذباب الموضع الفاسد من الجسد ويترك الصحيح منه .

● الشهوات ضد الفكر .

● شرف العقل على الهوى أن العقل يملكك الزمان والهوى يستعبدك له .

● الشراب يكشف عن المتصنع ستر التصنع ، وكذلك القدرة ، فلا تستعمل البطش حيث ينجح القول .

● الشجاع يختار حسن الذكر على البقاء ، والجبان يختار البقاء على حسن الذكر .

● المصغى إلى الذم شريك لقائله .

● الصلف وضع الرجل نفسه بمنزلة لايستحقها ، ومطالبة نفسه والناس بما

---

(٦) السطوة : الشدة والبأس .

يجب لتلك المنزلة ، والتواضع حط الرجل نفسه إلى منزلة دون منزلة نفسه لغير نقيصة .

● صير العقل والحق إمامك ، فإنك لاتزال حرًّا بهما .

● الصور الحسنة بلا أدب مثل أوانى الذهب فيها خلّ .

● اطلب فى الحياة العلم والمال تحز الرئاسة على الناس ، لأنهم بين خاص وعام ، فالخاصة تفضلك بما تحسن ، والعامة تفضلك بما تملك .

● الظفر شافع المذنبين إلى الكرماء .

● العفو يفسد من الخسيس بمقدار مايصلح من الرفيع .

● اعتنوا بقوام البدن ، فإنه آلة النفس .

● العزيز النفس هو الذى لايذل للفاقة .

عاشر الناسُ معاشرة من الصلة آثرُ عنده من القطيعة ، والاحتمال أغلب عليه من التجنّى ، واعلم أن ما يخرجهم إلى التعدّى والأخلاق الذميمة أغراض وظنون فاسدة تغريهم ، فتوقّهم[٧] واغفر لهم .

● العدل فى الشىء له صورة واحدة ، والجور صور كثيرة ، فلهذا سهل ارتكاب الجور ، وصعب العدل ، فهما يشبهان الإصابة والخطأ فى الرماية ، فإن الإصابة تحتاج إلى الارتياض ، والخطأ لايحتاج إلى ذلك[٨] .

● الغضب والشهوة وكل خلق من أخلاق النفس له مقدار يصلح فيه حال الشخص الذى يكون فيه ، فإن زاد على ذلك أخرجه إلى الشر ، لأن الغضب

---

(٧) توقّ فعل أمر بمعنى اتق من الوقاية وهى الحفظ .

(٨) وهذا يجب على المرء أن يروض نفسه حتى تلتزم جادة الحق والعدل والصواب ، وذلك ببذل الجهد فى معرفة الحق والعدل والاهتداء إليه من بين الصور الكثيرة التى يتزيا بها الباطل .

يشبه الملح الذى يطرح فى الأطعمة ، فإن كان بقدر موافق أصلح الطعام ، وإن كان زائدا أفسده ، وكذلك سائر القوى .

● الغضب كالتابع الردىء الذى يحركك أولا فى مصلحتك ، فإن أطعته حركك فى مصلحته .

● الفضيلة تجمع أصحابها على المحبة ، والرذيلة تفرق بين أهلها بالتنافر والبغضة ، ألا ترى أن الصادق يحب الصادق ، ويستنيم إليه ، وكذلك الثقة مع الثقة ، والحسن الخلق مع الحسن الخلق . وترى الكاذب يبغض الكاذب ، والسارق يخاف السارق ، وكل واحد منهما حذر من مجاورة صاحبه .

● الفجور من خواصّ الدواب الدنيّة ، وفشوّه يهلك الأمة .

● الفرق بين الحق والعدل : أن الحق هو الذى يعطى كل ذى حق حقه من ذاته ، والعدل هو المعطى كل ذى حق حقه من الحق .

● الفرق بين المعرفة بالشىء والعلم به ، أن المعرفة تذكرك ماقد نسيته ، والعلم به يثبت فى نفسك من أمره مالم تتصوره قبل ذلك .

● الفرق بين الإبانة والبلاغة ، أن الإبانة لاتكون إلا لموجود ، والبلاغة تكون لموجود ومفروض .

● الفضل من مال الغنى حرام عليه ما وجد ظاهر الخلة ، شديد الفاقة ، مكدى الاكتساب[٩] .

● قلما تغتفر المرأة إساءة المسىء إليها حتى ولو كانت صغيرة ، وأما إحسان المحسن لها فسريعا ماتنساه ولاتعود تذكره .

● قيل لأفلاطون : كيف ينبغى للرجل أن يصنع لئلا يحتاج ؟ فقال : إن

---

(٩) ظاهر الخلة : واضح الحاجة والفقر ، مكدى الاكتساب : قليل الكسب .

كان غنيا فليقتصد ، وإن كان فقيرا فليدمن العمل .

● كل خلق من الأخلاق قد يكسد عند قوم إلا الأمانة ، فإنها نافقة عند أصناف الناس ، يفضل بها من كانت فيه .

● كما أن فى الأبنية الكبيرة ماقد يجيب الصدى وليس هناك شخص ، كذلك فى الناس من له صورة إنسان وليس بإنسان[١٠] .

● الكريم المحض من غلبت عطاياه من أجل الرقة للقاصدين له ولم يطلب بها المباهاة ولا المكافأة .

● لاتطلب سرعة العمل واطلب تجويده ، فإن الناس لايسألون عن مدة العمل وإنما يسألون عن جودته .

● لاتصحب الشرير ، فإن طبعك يسرق منه ، وأنت لاتدرى !

● ليكن دعاؤك أن يحرسك الله من أصدقائك ، لأنك لاتقدر أن تحترس منهم .

● لاتحتقر من الخير قليلا ، فإن القليل من الخير كثير .

● لاتفرح بسقطة غيرك ، فإنك لاتدرى كيف تتصرف الأيام بك .

● لأن يموت الإنسان فيخلف مالا لعدوه خير من أن يحتاج فى حياته إلى أصدقائه .

● لولا أربع لصلح أمر الناس : جهل غالب ، وأمل كاذب ، وحرص دائب ، وهوى جاذب .

● لكل ذى فضل عدو لم يكتسبه ، يسوءه حسن الذكر له ، وجميل

---

(١٠) وهذا بمعنى : ترى الفتيان كالنخل ، وماأدراك بالدخل . وهناك فى الناس إمعات لالون لهم أشبه بتماثيل الطين المكلسة بالبياض من الظاهر ، فهو جميل المنظر ، فارغ المحتوى .

القول فيه ، ويرى أن ماشاع من ذلك تبكيت له .

● لاترغبن إلى من قصرت همته عن همتك ، وزاد حرصه على حرصك ، وكانت حيلته أوسع من حيلتك .

● لتكن عنايتكم فى دنياكم بما يصلح معاشكم ، وفى دينكم بما يرضى خالقكم عنكم .

● محب الشرف هو الذى يتعب نفسه بالنظر فى العلم .

● من فضيلة العلم أنك لاتستطيع أن يخدمك فيه أحد كما يخدمك فى سائر الأشياء ، وإنما تخدمه بنفسك ، ولايستطيع أحد أن يسلبك إياه كما يسلبك غيره من المقتنيات[١١] .

● قيل لأفلاطون : لم يبغض الجاهل العالم ، ولايبغض العالم الجاهل ؟ فقال : لأن الجاهل يستشعر النقص فى نفسه ، والعالم لانقص عنده .

● المرآة التى ينظر فيها الإنسان إلى أخلاقه هى الناس ؛ تتبين محاسنك من أوليائك منهم ، ومساويك من أعدائك فيهم .

● محبتك للشىء ستر بينك وبين مساويه ، وبغضتك له ستر بينك وبين محاسنه[١٢] .

---

(١١) نعم هذه فضيلة العلم ، ولكنا كبشر نحب أن نورث أبناءنا ما أنفقنا العمر فى تحصيله وفهمه ، والعلم لايوهب ولايورث ، كما يورث المال والتراث ورحم الله حفنى ناصف حيث يقول :

أتقضى معى إن حان حينى تجاربى ... ومـانلتها إلا بطول عـناء
وأبذل جهدى لاكتساب معارف ... ويفنى الذى حصلته بفنائى
ويحزننى ألا أرى لى حيلة ... لإعطائها من يستحق عطائى
إذا ورّث الجهّال أبناءهم غنى ... وجاهًا فما أشقى بنى العلماء

(١٢) وفى هذا المعنى يقول الشاعر : =

● ينبغى للعاقل أن يتذكر عند طلاوة الغذاء مرارة الداء .

● يتقم الإنسان من عدوه بأن يتزيّد فضلا فى نفسه .

● مت بالإرادة تحى بالطبيعة[١٣] .

● عقول الناس مدوّنة فى أطراف أقلامهم ، وظاهرة فى حسن اختيارهم .

= وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدى المساويا

(١٣) أراد بالموت الإرادى إماتة الشهوات وترك التعرض لها ، وأراد بالحياة الطبيعية بقاء النفس السرمدى بما تستفيده من العلوم وتبرأ به من الجهل .

أرسطو

أرسطو فيلسوف يونانى (٣٨٤ – ٣٢٢ ق . م) تتلمذ على أفلاطون ، وعلم الإسكندر الأكبر ، وأسس اللوقيون حيث كان يحاضر ماشيا ، فسمى هو وأتباعه بالمشائين .

وقد تناولت بحوثه جميع ألوان المعرفة الإنسانية ، وله كتب فى الأخلاق والسياسة والشعر والخطابة ، وكان له أثر فى الفلاسفة الإسلاميين ، ولقبوه بالمعلم الأول (والفارابى هو المعلم الثانى) .

وقام فلاسفة الإسلام بشرح فلسفة أرسطو ، وحفظوها من الضياع ، وعنهم أخذ العرب ، ومن ثم ساعدوا على نقل الفكر اليونانى إلى أوربا .

وهو واضع علم المنطق ، ويعتمد مذهبه فى الإلهيات على القول بإثبات واجب الوجود سبحانه وتعالى ، وأن نظام الكون الذى أبدعه متوجه فى الكل نحو الخير ، وأن الشر واقع بالعرض لا بالذات ، فلولا الشر ما كان الخير ، فالمطر النازل من السماء خير ، ولكنه قد يهدم بيتا ضعيف البناء ، فهو شر جزئى محتمل من أجل خير كبير .

والنفس الإنسانية باقية بعد فناء البدن ، وتنال سعادتها فى العالم العقلى إذا استكملت قوتى العلم والعمل .

وغاية التربية عنده تعليم الفضيلة ، والفضيلة فى رأيه وسط بين رذيلتين ،

كالشجاعة فهى وسط بين التهور والجبن ، ويعترض عليه بأن من الفضائل مالا وسط له كالعدل ، وقد عمل أرسطو قائمة كبيرة بالرذائل ، منها رذائل الإفراط كالتهور والشهوانية ، والغرور ، والادعاء الكاذب ، والشراسة ، والمجابهة . . ورذائل التفريط مثل الجبن ، والبلادة ، والخسة ، وضعة النفس ، والضعف ، والملق . .

والفضائل الأوساط مثل الشجاعة والاعتدال ، والعزة ، والسراوة ، والحلم ، والمجاملة .

ولايرى أرسطو بأسا ، بل هو يحبذ الأخذ من اللذة بحظ ، وأن ينعم الجسم بالصحة ، ومن ثم فقد اعتبر أرسطو واقعيا ، لأنه وقف من الحظوظ المادية موقفا وسطا متزنا ، فآثر الحظوظ المادية المشروعة على الزهد والحرمان .

ومن حكم أرسطو :

● فضل الناطق على الأخرس بالنطق ، وزين النطق الصدق ، فإذا كان الناطق كاذبا فالأخرس خير فيه .

● الحكمة تعرف عند النطق ، والشجاعة عند الغضب ، والعفة عند الشهوة .

● سئل أرسطو : أى شيء أصعب على الإنسان ؟ فقال : السكوت .

● سئل أرسطو : أى الحيوان أحسن ؟ فقال : الإنسان المزين بالأدب .

● سئل أرسطو : أى الرسل أحرى بالنجح ؟ فقال : من جمع له مع العقل الجمال .

● سئل أرسطو : فى أى وقت ترى الباه[1] ؟ قال : إذا اشتهيت أن تضعف .

● رأى أرسطو إنسانا ناقهًا يكثر من الأكل والشرب ، وهو يرى أنه يقويه ، فقال له : ياهذا ، ليست زيادة القوة بكثرة ماتورد بدنك من الغذاء ، ولكن بكثرة مايقبل منه .

● سرعة الغضب من أخلاق السباع والصبيان .

● شاور بالليل ، فإن الفكر فيه أشدّ اجتماعا منه بالنهار .

● الصدق قوام أمر الخلق ، والكذب داء لاينجو من نزل به .

● الطمع يورث الذلة التى لاتنقضى .

● ظاهر العتاب خير من مكتوم الحقد .

● اعتبر بمن مضى قبلك ، ولاتكن عبرة لمن يأتى بعدك .

● قد يفسد العضو لصلاح أعضاء ، كالكى والفصد اللذين يفسدان الأعضاء لصلاح غيرها .

● عجيب ممن استقر قلبه فى الدنيا ، وهى دائمة التصرم[2] .

● الفضل بين الأديب وغير الأديب كالفضل الذى بين الميت والحىّ .

● قوت الأجساد المطعم ، وقوت العقول الحكمة .

● قيل لأرسطو : لم تناقض صديقك أفلاطون ؟ فقال : أفلاطون صديق ، والحق أولى بالصداقة منه .

---

(١) الباه : ما يخرج عند الوقاع .

(٢) التصرم : التقطع أى أنها تقطع خيرها .

● القليل مع قلة الهمّ أهنأ من الكثير ذى التبعة[٣] .

● قيل لأرسطو : أخبرنى عنك ثقة بما يوحش ؟ فقال : الثقة لاينمّ .

● كثرة الجماع تنهك العمر ، وتنقض البدن .

● كن حلوا مرا ، قريبا بعيدا ، ولاتلن كل اللين فيطمع فيك ، ولا تشد كل الشدة فينفر عنك .

● لاتغتبطن بسلطان غير عادل ، ولابغنى من غير حل ، ولابيلاغة من غير صدق منطق ، ولابجود فى غير إصابة موضع ، ولابحسن عمل فى غير خشية .

● لو أن لساناً صادقاً أمر جبلا أن يزول لزال من مكان إلى مكان[٤] .

● الأشكال لاحقة بأشكالها ، كما أن الأضداد مباينة لأضدادها[٥] .

● لافقر أفقر من الجهل ، ولا وحشة أوحش من العُجب ، ولا صاحب أكيس من الشورى .

● ليس طلبى للعلم طلبا فى بلوغ ناصيته ، والاستيلاء على غايته ، بل لانتماس مالايسع جهله[٦] .

● لن يسود من يتبع العيوب الباطنة من إخوانه .

● المعلم الرفيق يربى المتعلم بصغار العلم قبل كباره ، كما تربى الوالدة ولدها بالرضاع قبل الفطام[٧] .

---

(٣) هذه الحكمة لاترضى أصحاب الطموح المادى الذين يقيسون النجاح فى الحياة بمقياس المادة فقط ، ومأأكثرهم فى زماننا هذا الذى اختلت فيه القيم ، واضطربت المعايير .

(٤) فى الإنجيل : لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون للجبل انتقل فينتقل .

(٥) يقول المتنبى : وشبه الشىء منجذب إليه وأشبهنا بدنيانا الطغام

(٦) وذلك لأن العلم بحر لاساحل له .

(٧) وهو مبدأ من مبادئ التربية الحديثة ، يعبر عنه بالانتقال من السهل إلى الصعب ، ومن البسيط إلى المركب ، ومن المحسوسات إلى المعنويات .

● من كفر النعمة استوجب السلب وحرم المزيد .

● من جعل الأجل أمامه أصلح نفسه .

● من تجبّر على الناس أحب الناس زلّته .

● من أفرط فى اللوم كره الناس حياته .

● امتحنوا الناس فى وقت تمكّنهم وتسلطهم دون وقت ذلّهم ، لأنه كما أن الكير يمتحن به الذهب ، كذلك التمكن يمتحن به الناس ، فى ذلك الوقت يظهر من الخيّر خيره ، ومن الشّرير شرّه .

● يظهر من صلاح الصالح وإن جهد فى كتمانه ، مثل مايسطع من ريح المسك وإن كان مكتوما .

● قال أرسطو للإسكندر : تفقد أمر عدوك قبل أن يطول باعُه ، وارتق الفتق قبل أن يتجاوز اتساعه .

● الظلم من طبع النفوس ، وإنما يصدها عن ذلك إحدى علتين ؛ إما علة دينية خوف معاد ، وإما علة سياسية خوف سيف[٨] .

● الحسد حسدان : محمود ومذموم ، فالمحمود أن ترى عالما فتشتهى أن تكون مثله ، وزاهدا فتشتهى مثل فعله ، والمذموم أن ترى عالما وفاضلا فتشتهى أن يموتا .

● الأحمق لايحسّ بألم الحمق المستقر فى قلبه ، كما لايحسّ السكران ألم الشوكة التى تدخل فى يده ورجله .

● الإنسان بلا عقل كالتمثال بلا روح .

---

(٨) نقله المتنبى شعرا فقال :

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لايظلم

● الملك الذى ينظر إلى الأقوياء ، ويهمل أمر الضعفاء ، مثله كمثل صاحب البستان الذى يصرف الماء إلى الشجر الرواء ويحرمه الشجر العطاش .

● الحق واضح فى نفسه ، وإنما يخفى علينا لآفة فى عقولنا ، فإن الشمس نيّرة ، ولايبصرها الخفاش لآفة فى بصره[٩] .

● الحكيم الصالح لايخادع أحدا ، والعاقل الكامل لايخدعه أحد .

● بذل الوجه للناس هو الموت الأكبر .

● الأدب يكسب الأغنياء زينة ، والفقراء معاشا يعيشون به عيش الأحرار[١٠] .

● قال أرسطو للإسكندر : أجر الرزق على ولد الشهيد ، ومن جرح بوجهه فكافئه بجائزة ، ومن جرح فى ظهره فوبخه بالكلام فقط ، ومن بطلت له فى الحرب جارحة فقد وجب عليك رزقه بقية عمره .

● كتب أرسطو للإسكندر : أذم إليك الدنيا ، الآخذة ماتعطى ، السالبة ماتكسو ، تسدّ بالأراذل مكان الأفاضل ، وبالعجزة مكان الخدمة[١١] ، تجد فى كل من كل خلفا ، وترضى بكل من كل بدلا . من سقته من عذب حلاوتها كأسا ، جرعته من غب مرارتها انتكاسا .

---

(٩) ومنه أخذ المتنبي قوله :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

(١٠) لعمرى إن أدب الكتابة لأيأتى بأبيض ولاأصفر ، يقول جحظة :

كلما قلت قال أحسنت شكرا ... وبأحسنت لايباع الدقيق !

(١١) الخدمة : القادرين على العمل ، وهى بفتح الخاء والدال .

ديوجين

قال عنه الشهرستانى : كان حكيما فاضلا متقشفا ، لايقتنى شيئا ، ولا يأوى إلى منزل ، وكأنه من قدرية الفلاسفة ، لما يوجد فى مدارج كلامه من الميل إلى القدر .

وقالت عنه الموسوعة العربية : ديوجنيس (٤١٢ – ٣٢٣ ق . م) فيلسوف يونانى من الكلبيين ، عاش فى أثينا داعيا إلى البساطة ، فعاش فى برميل .

وعندما سأله الإسكندر : ماذا يتمنى ؟ أجابه أنه يتمنى أن يبعد عنه حتى لايحجب ضوء الشمس !

ويروى عنه أنه كان يجوب الطرقات نهارا حاملا مصباحا ، وحين يسأل عن ذلك ، يجيب بأنه يبحث عن إنسان ، والمغزى واضح ، فهو يريد أنه يبحث عن إنسان كامل تتحقق فيه فضائل الإنسانية الصحيحة .

ومن حكمه :

● سأله الإسكندر يوما : بأى شىء يكتسب الثواب ؟ قال : بأفعال الخيرات ، وإنك لتقدر أيها الملك أن تكتسب فى يوم واحد مالا تقدر الرعية أن تكسبه فى دهرها .

● سأله عصبة من أهل الجهل : ماغذاؤك ؟ فقال : ماعفتم (يعنى الحكمة)

● قالوا له : فما عفت ؟ قال : مااستطبتم . (يعنى الجهل)

● قالوا له : كم عبدا لك ؟ قال : أربابكم (يعنى الغضب والشهوة والأخلاق الرديئة الناشئة منها)

● قالوا له يوما : ما أقبح صورتك ! قال : لم أملك الخلقة الذميمة فألام عليها ، ولا ملكتم الخلقة الحسنة فتحمدوا عليها ، وأما ماصار فى ملكى ، وأنى عليه تدبيرى ، فقد استكملت تزيينه وتحسينه بغاية الطوق ، وقاصية الجهد ، واستكملتهم شين مافى ملككم [1] .

● قالوا : فما الذى فى الملك من التزيين والتهجين ؟ قال : أما التزيين ، فعمارة الذهن بالحكمة ، وجلاء العقل بالأدب ، وقمع الشهوة بالعفاف ، وردع الغضب بالحلم ، وتذليل المرح بالسكون ، ورياضة النفس حتى تكون مطية ، قدارتاضت فتصرفت ، حيث صرفها فارسها فى طلب العليات ، وهجر الدنيات .

ومن التهجين ، تعطيل الذهن من الحكمة ، وتوسيخ العقل بضياع الأدب ، وإثارة الشهوة باتباع الهوى ، وإضرام الغضب بالانتقام ، وإمداد الحرص بالطلب .

● قدّم إليه رجل طعاما وقال له : استكثر منه ، فقال : عليك بتقديم الأكل ، وعلينا باستعمال العدل .

● زمام العافية بيد البلاء ، ورأس السلامة تحت جناح العطب ، وباب الأمن مستور بالخوف ، فلا تكوننّ فى حال من هذه الثلاث غير متوقع لضدّها .

---

(١) فى هذا المعنى يقول المتنبى :

وما الحسن فى وجه الفتى شرفا له إذا لم يكن فى فعله والخلائق

● قيل له : مالك لاتغضب ؟ قال : أما غضب الإنسانية فقد أغضبه ، وأما غضب البهيمية فقد تركته لترك الشهوة البهيمية .

● استدعاه الملك الإسكندر يوما إلى مجلسه ، فقال للرسول : قل له : إن الذى منعك عن المصير إلينا هو الذى منعنا عن المصير إليك ، منعك استغناؤك عنى بسلطانك ، ومنعنى استغنائى عنك بقناعتى[٢] .

● عابته امرأة يونانية بقبح الوجه ودمامة الصورة ، فقال : منظر الرجال بعد المخبر ، ومخبر النساء بعد المظهر . (فخجلت وتابت)

● وقف عليه الإسكندر يوما فقال له : أما تخافنى ؟ قال : أنت خيّر أم شرير ؟ قال : بل خيّر ، قال : فما لخوفى من الخيّر معنى ، بل يجب علىّ رجاؤه .

● كان لأهل مدينة من بلاد ، صاحب جيش جبان ، وطبيب لم يعالج أحدا إلا قتله ، فظهر عليهم عدو ، ففزعوا إليه فقال : اجعلوا طبيبكم صاحب لقاء العدو ، واجعلوا صاحب جيشكم طبيبكم !

● اعلم أنك ميت لامحالة ، فاجتهد أن تكون حيا بعد موتك ، لئلا تكون لميتتك ميتة ثانية .

● كما أن الأجسام تعظم فى العين فى اليوم الضباب ، كذلك تعظم الذنوب عند الإنسان فى حال الغضب .

● سئل عن العشق فقال : هو اختيار صادف نفسا فارغة .

---

(٢) ورحم الله أبا العتاهية حيث يقول :

يامن ترفع للدنيا وزينتها ... ليس الترفع رفع الطين للطين
إذا أردت شريف الناس كلهم ... فانظر إلى ملك فى زىّ مسكين

● رأى غلاما معه سراج ، فقال له : تعلم من أين تجىء هذه النار ؟ فقال له الغلام : إن أخبرتنى إلى أين تذهب ، أخبرك من أين تجىء[٣] .

● رأى امرأة قد حملها الماء فقال : على هذا جرى المثل : دع الشر يغسله الشر[٤] .

● رأى امرأة تحمل نارا فقال : نار على نار ، وحامل شر من محمول .

● رأى امرأة متزينة فى ملعب فقال : لم تخرج لترى بل لترُى !

● رأى نساء يتشاورن فقال : على هذا جرى المثل : هو ذا الثعبان يستقرض من الأفاعى سُمًّا .

● رأى جارية تتعلم الكتابة فقال : يُسقى هذا السهم سُمًّا ليُرمى به يوما ما .

● رأى امرأة ضاحكة فقال : لو كنت تدرين الموت لما كنت ضاحكة أبدا .

● رأى امرأة قد حملها السيل فقال : زادت على كدره كدرا ، والشر بالشر يهلك .

● قال للإسكندر يوما ، وكان يقربه ويدنيه ويأنس بكلامه : أيها الملك ، قد أمنت الفقر ، فليكن غناك اقتناء للحمد ، وابتغاء للمجد .

● رأى ديوجين صبيا كثير الشبه بأبيه ، فقال : نعم الشاهد أنت لأمك !

● سئل ديوجين عن الغنى فقال : الكف عن الشهوات .

● سئل ديوجين من ماذا يتحفظ الإنسان ؟ فقال : من حسد أصدقائه .

● سئل ديوجين بماذا يعرف الصديق ؟ قال : عند الشدائد .

---

(٣) قالوا : فأعياه الغلام وأفحمه بعد أن لم يكن يقوى عليه أحد .

(٤) هذا ومابعده رأى قاس فى المرأة ، وقد علمنا لذلك فى حكم سقراط .

● قيل لديوجين : ماالحلو ؟ ومامر ؟ قال : الحلو ، الولد الأديب ، والمر الدَّيْن الثقيل .

● كل شيء يستحب فضله ماعدا فضل الكلام ، فتوقوه ، فإنه غير مستحب .

● كما تعرف بصوت الفخار إذا نقر صحيحه من مكسوره ، كذلك تعرف بكلام الإنسان نقصه من تمامه .

● من جمع لكم مع المحبة رأيا ، فاجمعوا له مع المحبة طاعة .

● المرأة رديّة ، لاسيما إذا سميت بالمرأة مرتين ؛ امرأة وامرأة أب .

● نظر ديوجين إلى غلام حسن الصوت يتعلم الحكمة ، فقال : ياغلام ، قد أحسنت إذ نقلت زينة إلى نفسك .

● نظر ديوجين إلى رجل حسن الوجه ، ردىء السيرة ، فقال : البيت حسن ، وأما الساكن فشيطان (٥) .

● نظر ديوجين إلى شاب طويل السكوت ، فقال له : إن كان صمتك لسوء أدبك فأنت أديب ، وإن كان لأدبك فقد أسأت أدبك إذ أمسكت .

---

(٥) الجمال جمال النفس والروح ، أما الجسم فهو رداء يخلعه الإنسان بالموت ، والله در الشاعر حيث يقول :

فينا وفيك طبيعة أرضية تهوى بنا أبدا لشرّ قرار
النفس خيرك إنها علوية والجسم شرك ليس فيه تمارى

ثاوفراسطوس

ثاوفراسطوس فيلسوف يونانى (٣٧٢ - ٢٨٧ ق . م) كان تلميذا لأرسطو ، وخلف أستاذه فى تزعم المشائين ، وازدهرت المدرسة المشائية على يديه ، وكان صديقا لفيليب الثانى المقدونى ، ولبطلميوس الأول ، وكتب فى موضوعات كثيرة ، أخصها النبات ، وله كتاب « شخصيات » رسم فيه عدة شخصيات من أنماط مختلفة صوّر بها معاصريه .

قال عنه الشهرستانى : كان من كبار تلامذة أرسطو وكبار صحابه ، واستخلفه على كرسى حكمته بعد وفاته ، وكانت المتفلسفة فى عهده تختلف إليه ، وتقتبس منه ، وله كتب الشروح الكثيرة ، والتصانيف المعتبرة ، وخاصة فى الموسيقيات .

ومن حكمه :

● الغناء فضيلة فى المنطق أشكلت على النفس ، وقصرت عن تبيين كنهها ، فأبرزتها لحونا ، وأثارت بها شجونا ، وأضمرت فى عرضها فنونا وفتونا .

● الغناء شىء يخص النفس دون الجسد فيشغلها عن مصالحها ، كما أن لذّة المأكول والمشروب شىء يخصّ الجسم دون النفس .

● إن النفوس إلى اللحون إذا كانت محجبة ، أشدّ إصغاء منها إلى ماقد تبيّن

لها ، وظهر معناه عندها[1] .

● ينبغى للرجل أن يدارى الزمن مداراة رجل لايسيح فى الماء الجارى إذا وقع .

● لايغبطنّ بسلطان من غير عدل ، ولابغنى من غير حسن تدبير ، ولا ببلاغة من غير صدق منطق ، ولايجود فى غير إصابة موضع ، ولا بأدب من غير أصالة رأى ، ولابحسن عمل فى غير حينه .

● العقل نحوان : أحدهما مطبوع ، والآخر مسموع ، فالمطبوع منه كالأرض ، والمسموع منه كالبذر والماء ، فلا يخلص للعقل المطبوع عمل دون أن يرد عليه العقل المسموع ، فينبهه من نومه ، ويطلقه من وثاقه ، ويقلقه من مكانه ، كما يستخرج البذر والماء مافى قعر الأرض[2] .

● الحكمة غنى النفس ، والمال غنى البدن ، وطلب غنى النفس أولى ، لأنها إذا غنيت بقيت ، والبدن إذا غنى فنى ، وغنى النفس ممدود ، وغنى البدن محدود[3] .

---

(١) قالت الحكماء : فى القلب فضيلة شريفة لم تقدر قوة النطق على إخراجها باللفظ ، فأخرجتها النفس بالألحان ، فلما ظهرت سرت وطربت لها ، والموسيقى والغناء أصوات جميلة موزونة موقعة على نغمات ، والصوت إما أن يكون من طير مغرد بفطرته وطبيعته كأصوات الكروان والعنادل والقمارى والساجعات من الطيور ، وإما أن يخرج الصوت من آلات مصنوعة هى الآلات الموسيقية المختلفة ، وإما أن يخرج من حنجرة إنسان ، وهو المغنى المطرب ، وهو لهو مباح لتغذية الأرواح ، مالم يعن على إثم أو ترك واجب ، والموسيقى والغناء من ألوان الفنون الجميلة التى تنطوى تحتها أسرار الخالق فيما خلق ، وكم لله من أسرار فيما حوت الفنون من أنواع الفتون .

(٢) يريد أن للإنسان عقلا غريزيا هو نصيبه من الذكاء والفهم والفطنة ، وعقلا مكتسبا يستفيده من التجارب والتعلم والخبرات التى يمرّ بها ، والعقل المستفاد المكتسب يوقظ العقل المطبوع ويثيره ، كما يثير البذر والماء الأرض فتنبت .

(٣) وذلك لأن النفس باقية وخالدة ، أما الجسد فهو فان وهالك .

إقليدس

عالم رياضة يونانى نشأ فى الإسكندرية ، ربما فى عهد بطليموس الأول ٣٢٣ – ٢٨٥ ق . م أنشأ مدرسة مشهورة بالإسكندرية ، وقام بتنظيم وتنسيق علم الرياضة فى عصره ، وضمنه مؤلفه الأصول المحتوى على ثلاث عشرة مقالة ، ظلت حتى عهدنا هذا أساس مبادئ الهندسة . (الموسوعة العربية) .

وقد ترجم عنه العرب كتبا رياضية غاية فى النفع ، نقل كتابه فى الرياضة حنين بن إسحق ، فجاء العلامة ثابت بن قرة حوالى سنة ٢١١ هـ فنقحه وهذبه وسهل مصاعبه . (دائرة معارف فريد وجدى) .

قال الشهرستانى : إقليدس هو أول من تكلم فى الرياضيات ، وأفرده علما نافعا فى العلوم ، منقحا للخواطر ، ملقحا للفكر .

ومن حكم إقليدس :

● الخطّ هندسة روحانية ظهرت بآلة جسمانية[1] .

● قال له رجل يتهدده : إنى لا آلو جهدا أن أفقدك حياتك ، فقال له

---

(١) ليس بغريب أن يعتبر إقليدس الهندسة والرياضة من الروحانيات ، فعلم الرياضة إذا تعمق فيه المتعمق أدى به إلى عالم ماوراء الطبيعة ، وهذا فيثاغورس الفيلسوف اليونانى يعتبر العدد أصل الموجودات ، ويتصور العالم تصورا رياضيا ، ولهذا مال الفيثاغوريون إلى التصوف وحياة الطهارة ، وقالوا بخلود النفس ، وبوجود عالم آخر ، ولعل فيثاغورس اكتسب هذه الآراء من الشرق ، فالشرق كان منذ قديم الزمان صاحب النفحات الروحية .

إقليدس : أنا لا آلو جهدًا أن أفقدك غضبك ؟

● كل أمر تصرفنا فيه ، وكانت النفس الناطقة هى المقدرة له فهو داخل فى الأفعال الإنسانية ، ومالم تقدره النفس الناطقة فهو داخل فى الأفعال البهيمية .

● من أراد أن يكون محبوبه محبوبك ، وافقك على ماتحب ، فإذا اتفقتما على محبوب واحد صرتما إلى الاتفاق .

● افزع إلى مايشبه الرأى العام التدبيرى العقلى ، واتهم ماسواه .

● كل ما أستطيع خلعه ، ولم يضطر إلى لزومه المرء ، فلم الإقامة على مكروهه ؟

● الأمور جنسان : أحدهما يستطاع خلعه والمصير إلى غيره ، والآخر توجبه الضرورة فلا يستطاع الانتقال عنه ، والاغتمام والأسف على كل واحد منهما غير سائغ فى الرأى .

● كل فائت وجدت فى الأمور منه عوضا ، أو أمكنك اكتساب مثله ، فما الأسف على فوته ؟ وإن لم يكن منه عوض ، ولايصاب له مثل ، فما الأسف على مالاسبيل إلى مثله ، ولا إمكان فى دفعه[٢] .

● لما علم العاقل أنه لا ثقة بشىء من أمر الدنيا ألقى منها مامنه بدّ ، واقتصر على مالابدّ منه ، وعمل فيما يوثق به بأبلغ ماقدر عليه .

● أسوأ الناس حالا من لايثق بأحد لسوء ظنه ، ولايثق به أحد لسوء فعله .

---

(٢) وهذه الحكمة تفسر الحكمتين السابقتين عليها ، ومضمونها جميعا ترك الأسف على مافات (لكى لاتأسوا على ما فاتكم ولاتفرحوا بما آتاكم) .

● الجشعُ بين شرَّيْن : فالإعدام يخرجه إلى السفه ، والجدة تخرجه إلى الأشر [٣] .

● لاتعن أخاك على أخيك فى خصومة ، فإنهما يصطلحان عن قليل وتكتسب المذمة [٤] .

---

(٣) الأشر البطر وكفر النعمة .

(٤) اختار الحكيم الوقوف فى جانب السلب والحياد ، أما الجانب الإيجابى فهو مناصرة من معه الحق.

الإسكندر

الإسكندر الأكبر ملك مقدونيا وابن فيليب الثانى ، عاش فيما بين ٣٥٦ – ٣٢٣ ق . م وتتلمذ على الفيلسوف اليونانى أرسطوطاليس ، فتح الفتوح ، وأخضع الممالك ، ومن بينها مصر ، التى كانت تحت الحكم الفارسى ، وقد رسم الإسكندر فرعونا فى « منف » وأسس مدينة الإسكندرية ، وأحرز فتوحات لم يحرزها قائد قبله ، ومات بالحمى وسنه لم تتجاوز ثلاثة وثلاثين عاما ، ووضع فى تابوت من ذهب ، ودفن بالإسكندرية ، ويعتبر من أعظم القواد وأبرز الشخصيات فى التاريخ .

ذكره الشهرستانى بين أصحاب الحكم ، وعدّه من أصحاب أرسطو الفيلسوف .

ومن حكم الإسكندر :

● قيل له : إنك تعظم مؤدبك أكثر من تعظيمك والدك ! قال : لأن أبى سبب حياتى الفانية ، ومؤدبى هو سبب حياتى الباقية[1] .

● جلس الإسكندر يوما فلم يسأله أحد حاجة ، فقال لأصحابه : والله

---

(١) ذكر الشهرستانى أن أبا زكريا الصيمرى علّق على هذه الحكمة فقال : لوقيل لى هذا لقلت : لأن أبى كان قد قضى وطرا بالطبيعة التى اختلفت بالكون والفساد ، ومؤدبى أفادنى العقل الذى به انطلقت إلى مالبس فيه كون ولافساد .

ما أعدّ هذا اليوم من أيام عمرى فى ملكى ، قيل : ولم أيها الملك ؟ قال : لأن الملك لايوجد التلذذ به إلا بالجود على السائل ، وإغاثة الملهوف ، ومكافأة المحسن ، وإلا بإنالة الراغب ، وإسعاف الطالب[٢] .

● أغلظ له رجل من أهل أثينا ، فقام إليه بعض قواده ليقابله بالواجب ، فقال له الإسكندر . لا تنحط إلى دناءته ، ولكن ارفعه إلى شرفك .

● من كنت تحب الحياة لأجله . فلا تستعظم الموت بسببه .

● قيل له : إن « روشنك » امرأتك بنت دارا الملك (وهى من أجمل النساء) فلو قربتها إلى نفسك ! قال : أكره أن يقال : غلب الإسكندر دارا ، وغلبت روشنك الإسكندر !

● من الواجب على أهل الحكمة أن يسرعوا إلى قبول اعتذار المذنبين ، وأن يبطئوا عن العقوبة .

● سلطان العقل على باطن العاقل ، أشدّ تحكما من سلطان السيف على ظاهر الأحمق .

● ليس الموت بألم للنفس ، بل للجسد .

● الذى يريد أن ينظر إلى أفعال الله عزوجلّ مجردة ، فليعفّ عن الشهوات .

● العقل لايألم فى طلب معرفة الأشياء ، بل الجسد يألم ويسأم[٣] .

---

(٢) وتذكرنى هذه الحكمة بحكمة جليلة للخليل بن أحمد البصرى عالم اللغة وواضع علم العروض ، حيث يقول « إذا رأيت من هو أعلم منى فذاك يوم استفادتى ، وإذا رأيت من هو دونى فذاك يوم إفادتى ، وإذا رأيت من هو مثلى فذاك يوم مذاكرتى ، وإذا لم أر أحدا من هؤلاء فذاك يوم مصيبتى ! ! » ورحم الله قوما كل أيامهم مصائب لأنهم لايستفيدون ولايفيدون ! ! نسأل الله لنا ولهم العافية .

(٣) وقد عبر المتنبى عن هذا المعنى فقال :

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأجسام

● النظر فى المرآة يُرى رسم الوجه ، وفى أقاويل الحكماء يُرى رسم النفس .

● السعيد من لايعرفنا ولانعرفه ، لأنا إذا عرفناه أطلنا يومه ، وأطرنا نومه[٤] .

● الظفر بالحزم ، والحزم بإجالة الرأى ، وإجالة الرأى بتحصين الأسرار .

● استقلل كثير ماتعطى ، واستكثر قليل ما تأخذ ؛ فإن قرة عين الكريم فيما يعطى ، ومسرّة اللئيم فيما يأخذ ، ولاتجعل الشحيح أمينا ، ولا الكذاب صفيا ، فإنه لاعفة مع شح ، ولاأمانة مع كذب .

● قيل للإسكندر : بِمَ نلت هذا الملك العظيم على حداثة السن ؟ قال : باستمالة الأعداء ، وتفقّد الأصدقاء .

● لام الإسكندر بعضُ الناس على مباشرته الحرب بنفسه فقال : مامن الحق أن تقاتل عنى أصحابى ، ولا أقاتل أنا عن نفسى .

● ينبغى للرجل أن يستحى من إتيان القبيح ، أما فى منزله فمن أهله ، وأما فى غير منزله فممن يلقاه ، وأما حيث يأمن من يلقاه فمن نفسه ، فإن لم يجعل نفسه أهلا لأن يستحى منها فى خلوته ، فليستح من الله تعالى .

● قيل للإسكندر : أى شىء أنت به أسرُّ مما ملكت ؟ فقال : مكافأة من أحسن إلىّ بأكثر من إحسانه ، وعفوى عمن أساء بعد قدرتى عليه[٥] .

---

(٤) ولهذا كان أهل الصلاح والتقوى يفرون من تولى الوظائف العامة كالقضاء مثلا خوف التعرض للضغط فى إجراء الحق والعدل .

(٥) العفو عند المقدرة ، والعرفان بالجميل ، يدلان على أريحية النفس ، وسجاحة الخلق .

عبرة الحياة والموت

قبل لما مات الإسكندر اجتمع الحكماء لتأبينه ، وقال كل واحد كلمة فى هذه المناسبة ، وهاك بعض هذه الحكم :

● بليموس : هذا يوم عظيم العبرة ، أقبل من شره ماكان مدبرا ، وأدبر من خيره ماكان مقبلا ، فمن كان باكيا على من قد زال ملكه فليبكه .

● ميلاطوس : خرجنا إلى الدنيا جاهلين ، وأقمنا عليها غافلين ، وفارقناها كارهين .

● زينون الأصغر : ياعظيم الشأن ! ماكنت إلا ظل سحاب اضمحلّ لما أظلّ ، فما تحس للملك أثرا ، ولاتعرف له خبرا .

● أفلاطن الثانى : أيها السامى المغتصب ! جمعت ماخذلك ، وتوليت ماتولى عنك ، فلزمتك أوزاره ، وعاد على غيرك مهنؤك وثماره .

● فوطس : ألا تتعجبون ممن لم يعظنا اختيارا ، حتى وعظنا بنفسه اضطرارا .

● مسطورس : قد كنا بالأمس نقدر على الاستماع ولانقدر على القول ، واليوم نقدر على القول ، فهل تقدر على الاستماع ؟

● ثاون : انظروا إلى حلم النائم ، كيف انقضى ؟ وإلى ظلّ الغمام ، كيف انجلى ؟

● سوس : كم قد أمات هذا الشخص لئلا يموت ، فمات . فكيف لم يدفع الموت عن نفسه بالموت ؟

● وقال حكيم : طوى الأرض العريضة ، فلم يقنع منها حتى طوى فى ذراعين ؟ !

● وقال آخر : ماسافر الإسكندر سفرًا من غير أعوان ولاعدّة غير سفره هذا ! !

● وقال آخر : ما أرغبنا فيما فارقت ، وأغفلنا عما عانيت .

● وقال آخر : لم يؤدبنا بكلامه ، كما أدبنا بسكوته ! !

● وقال آخر : من ير هذا الشخص فليتق ، وليعلم أن الديون هكذا قضاؤها .

● وقال آخر : قد كان يسأل عما قبله ، ولايسأل عما بعده .

● وقال آخر : من شدّة حرصه على الارتفاع ، انحطّ كله .

● وقال آخر : الآن تضطرب الأقاليم ، لأن مسكّنها قد سكن !

● وقال آخر : الآن وقت الانصراف ، لأن الأشخاص يتوجهون من دار إلى دار ، والله تعالى يبقى ولايفنى[1] .

---

(١) ونشيع موتانا ، ويتعظ منا من يتعظ لحظات ، ثم تجرفنا الحياة بأباطيلها وترهاتها ، وكأن الذى نشيع من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون ، نبوئهم أجداثهم ونأكل من تراثهم كأنا مخلدون بعدهم ، كما يقول الرسول عليه الصلاة والسلام .

بطلميوس

عالم فلك ورياضة وجغرافيا وفيزيقا ومؤرخ يونانى مصرى ، نشأ بالإسكندرية فى الربع الثانى من القرن الثانى ، وتوفى بعد سنة ١٦١ م ، اكتشف عدم انتظام حركة القمر ، وله أرصاد هامة عن حركات الكواكب ، وله مكانة فى تاريخ العلوم ناقدا ومفسرا .

قام بتبويب وتسجيل نتائج وقوانين علماء الإسكندرية ، واعتبرت أعماله فى الفلك والجغرافيا مرجعا أساسيا حتى أيام كوبرنيكوس ، فكتابه المسمى بالمجسطى يبحث فى الفلك والرياضة ، ويحتوى على مسائل وتفسيرات للأجرام السماوية وعلاقتها بالأرض .

أما نظام بطلميوس فهو صورة الكون كما تخيلها القدماء ، حيث الأرض فى المركز وتدور حولها باقى الأجرام السماوية فى دوائر وبسرعة منتظمة . . (عن الموسوعة العربية)

قال عنه الشهرستانى : هو صاحب المجسطى الذى تكلم فى هيئات الفلك وأخرج علم الهندسة من القوة إلى الفعل .

وأورد له هذه الحكم :

● سمع جماعة من أصحابه وهم حول سرادقه يقعون فيه ويثلبونه ، فهزّ رمحا

كان بين يديه ، ليعلموا أنهم بمسمع منه ، وأن يتباعدوا عنه قيد رمح ، ثم يقولوا ما أحبوا .

● ما أحسن الإنسان أن يصبر عما يشتهى ، وأحسن منه ألا يشتهى إلا ماينبغى .

● الحليم الذى إذا صدق صبر ، لا الذى إذا قُذف كظم .

● لأن يستغنى الإنسان عن الملك ، أكرم له أن يستغنى به .

● موقع الحكمة من قلوب الجهال كموقع الذهب والجوهر من ظهر الحمار .

● العلم فى موطنه كالذهب فى معدنه ، لايستنبط إلا بالدءوب والتعب والكدّ والنصب ، ثم يجب تخليصه بالفكر ، كما يخلص الذهب بالنار .

● نحن كائنون فى الزمن الذى يأتى بعد [1]

---

(١) الكينونة الحقيقية هى البعث والمعاد ، قال تعالى (وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون) .

المسيح عليه السلام

المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، أرسله إلى بنى إسرائيل ، ليصلح فساد نفوسهم ، ويقوّم اعوجاجهم ، فقد غيروا شريعة الله ، وحرّفوا كلماته ، وانصرفوا عن اللب والجوهر ، واهتموا بالشكليات والمظاهر . وقد أيده الله بالمعجزات الباهرة ، والآيات القاهرة ، مثل إحياء الموتى بإذن الله ، وإبراء الأكمه وهو من ولد أعمى ، وشفاء الأبرص ، وأنزل عليه الإنجيل فيه هدى ونور ، فاختلفوا فى شأنه وقالوا فيه مقولات لاتستند إلى معقول أو منقول .

والحق ماقال الله تعالى :

(إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) . (وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم)

والإنجيل كلمة من أصل يونانى ومعناها البشرى ، والإنجيل الذى نزل على المسيح عليه السلام ، لايتضمن أحكاما ، ولايبين حلالا ولا حراما ، ولكنه رموز وأمثال ، ومواعظ ومزاجر ، كما يقول الشهرستانى فى الملل والنحل ، إذ أن رسالة المسيح عليه السلام كانت تصحيحا لتحريفات اليهود التى أدخلوها على التوراة .

أما الأناجيل الأربعة التى اعتمدها المسيحيون من بين أناجيل كثيرة غيرها ، فقد ألفت بعد المسيح بنحو سبعة عقود ، وقد روت هذه الأناجيل سيرة المسيح ، مع اختلاف غير قليل فيما بين بعضها وبعض ، ويتميز الإنجيل الرابع

منها ، وهو إنجيل يوحنا بطابعه اللاهوتى .

ويهمنا هنا أن نؤكد على نقطة فى غاية الأهمية ، وهى أن تعاليم المسيح عليه السلام ، هى جوهر الديانة المسيحية ، وتقع من المسيحية فى الصميم منها ، ولو أولاها المسيحيون عنايتهم لكانوا جنبوا أنفسهم كثيرا من الأعاصير التى عصفت بهم ، يقول الدكتور القسّ إبراهيم سعيد فى كتابه « أصحاب السعادة » .

« لسنا نجد فى الموعظة على الجبل[1] عقائد لاهوتية ، كعقيدة التثليث أو التبنى أو التبرير أوالتمجيد ، لكننا نجد مبادئ روحية سماوية سامية ، هى روحنا وحياتنا فى حياتنا العملية .

ولاشك عندى أننا فى هذه الأيام ، وفى غير هذه الأيام ، أحوج مانكون إلى مبادئ الحياة الروحية العملية منا إلى العقائد اللاهوتية والنظم الكنسية ولست أحسبنى مبالغا إذا قلت : إن شر الأيام التى مرت بالمسيحية هى تلك الأيام التى انصرفت فيها عن تقويم الحياة الروحية العملية إلى تقديم العقائد اللاهوتية .

إن للعقيدة العقلية مقامها ومكانها ، ولكن لحياة القلب والروح مكانة أهم ، ومركزا أفضل ، ومقاما أسمى .

ويقول الكاتب أيضا :

« أتعرفون ذلك القانون العظيم المسمى قانون الإيمان الرسولى » الذى يبتدئ بالقول « أنا أومن بإله واحد . . . » الذى تتألف منه عقيدة الكنيسة ؟

---

(١) هى خطبة ألقاها المسيح من فوق جبل قرون حطين . انظر إلى الأصحاح الخامس والسادس والسابع من إنجيل متى ، وهذه الخطبة أو الموعظة هى لبّ الديانة المسيحية التى جاءت لتصحيح ماأدخله اليهود على الدين من تحريف وانحراف .

إنه لمن المحزن حقا أن فى محاولة تقرير هذا القانون وغيره من قوانين الإيمان ، قد انقسمت الكنيسة على نفسها ، وقد وقعت اضطهادات نارية محرقة على الكنيسة ، ومن الكنيسة ، على قوم آخرين فى الكنيسة ، مع أنهم لو اتفقوا على القول : إن خلاصة قوانين الإيمان المسيحية قد حواها كلام المسيح فى الموعظة على الجبل ، لما اختلف فى قانون المسيحية اثنان » .

وقد عنى المسلمون بهذه الموعظة ، كما عنوا بكلمات المسيح عليه السلام ، وصاغوها صياغة جميلة ، وهى منثورة فى كتب التراث العربى .

ومن هذه التعاليم ما يأتى :

● البر ثلاثة : المنطق ، والنظر ، والصمت ، فمن كان منطقه فى غير ذكر فقد لغا ، ومن كان نظره فى غير اعتبار فقد سها ، ومن كان صمته فى غير فكر فقد لها .

● قيل لعيسى عليه السلام : من أدبك ؟ قال : ماأدّبنى أحد ، ولكن رأيت جهل الجاهل فجانبته .

● لاتنظروا فى أعمال الناس كأرباب ، وانظروا فى أعمالكم كأنكم عبيد ، فإنما الناس رجلان ، مبتلى ومعافى ، فارحموا أهل البلاء ، واحمدوا الله على العافية .

● يابنى إسرائيل : لاتتكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ، ولاتمنعوها أهلها فتظلموهم ، ولاتكافئوا ظالما فيبطل فضلكم .

● يابنى إسرائيل الأمور ثلاثة : أمر تبين رشده فاتبعوه ، وأمرتبين غيه فاجتنبوه ، وأمر اختلفتم فيه فردّوه إلى الله تعالى .

● روى عن المسيح عليه السلام أنه قال ، فى المال ثلاث خصال . قالوا : وما هى ياروح الله ، قال : لايكسبه من حله ، قالوا ، فإن فعل ، قال : يمنعه من حقه ، قالوا : فإن لم يفعل ، قال : يشغله إصلاحه عن عبادة ربه .

● عيّرت اليهود عيسى بن مريم بالفقر فقال : من الغنى أتيتم .

● لما بعث عيسى عليه السلام إلى بنى إسرائيل ، وضرب لهم الأمثال والحكمة ، وأظهر لهم الآيات قالوا : أليس هذا ابن النجار[٢] أوليست أمه مريم ؟ وأخوه يعقوب ويوسف وشمعون ويهوذا ، وأخواته كلهن عندنا ؟ فقال لهم عيسى : إنه لايسبّ النبى ولايحقّر إلا فى مدينته وبيئته [٣] .

● لاتلقوا اللؤلؤ إلى الخنازير ، فإنها لاتصنع به شيئا ، ولاتعطوا الحكمة من لايريدها ، فإن الحكمة أفضل من اللؤلؤ ، ومن لايريدها شر من الخنازير .

● إلى متى تصفون الطريق للمدلجين[٤] ، وأنتم مقيمون مع المتحيرين ؟ إنما ينبغى من العمل القليل ، ومن العمل الكثير .

● إن أبغض العلماء إلى الله رجل يحبّ الذكر بالمغيب ، ويوسّع له فى المجالس ، ويُدعى إلى الطعام ، وتفرغ له المزاود [٥] . بحق أقول لكم : إن أولئك قد أخذوا أجورهم فى الدنيا ، وإن الله يضاعف لهم العذاب يوم القيامة .

---

(٢) فى هذا تعريض من اليهود بعيسى ، لأنه ولد قبل أن تقترن أمه بيوسف النجار وقد برأه الله ، وبرأ أمه الطاهرة البتول مما قالوا (وكان عند الله وجيها) .

(٣) وقديما قال فرعون لموسى (ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين) وفى صياغة الإنجيل « لاكرامة لنبى فى وطنه » .

(٤) المدلج : المسافر ليلا

(٥) المزاود : جمع مزود وعاء الزاد

● سيكون فى آخر الزمان علماء يزهّدون فى الدنيا ولايزهدون ، ويرغّبون فى الآخرة ولايرغبون ، ينهون عن غشيان الولاة ولاينتهون ، يقرّبون الأغنياء ، ويباعدون الفقراء ، وينقبضون عند الحقراء ، وينبسطون عند الكبراء ، أولئك إخوان الشياطين وأعداء الرحمن .

● قال المسيح للحواريين : بحق أقول لكم ، إن شجر الأرض بمطر السماء تعيش وتزكو ، وكذلك القلوب بنور الحكمة تبصر وتهتدى ، بحق أقول لكم : إن من ليس عليه دين أروح وأقل همًّا ممن عليه دين وإن حسُن قضاؤه ، وكذلك من لم يعمل الخطيئة أروح وأقلّ همًّا ممّن عمل بها وإن حسنت توبته .

إن الدابة تزداد على كثرة الرياضة خيرا ، وقلوبكم لاتزداد على كثرة الموعظة إلا قسوة .

● إن الجسد إذا صلَح كفاه القليل من الطعام ، وإن القلب إذا صحّ كفاه القليل من الحكمة .

● كم من سراج قد أطفأته الريح ! وكم من عابد أفسده العجب !

● يابنى إسرائيل ، استمعوا قولى ، فإن مثل من يستمع قولى ثم يعمل به ، كمثل رجل حكيم أسس بنيانه على الصفا[٦] ، فمطرت السماء ، وسالت الأودية ، وضربته الرياح ، فثبت بنيانه ولم يخرّ[٧] . ومثل الذى يستمع قولى ثم لايعمل به مثل رجل سفيه أسّس بنيانه على الرمل ، فمطرت السماء ، وسالت الأودية ، وهاجت الريح ، فضربته فسقط بنيانه .

● يابنى إسرائيل ، مايغنى عن الأعمى سعة نور الشمس وهو لايبصرها ،

---

(٦) الصفا : الأرض الصلبة .

(٧) لم يخر : لم يسقط .

ومايغنى عن العالم كبره العلم وهو لايعمل به . بحق أقول لكم : إن قائل الحكمة وسامعها شريكان ، وأولاهما بها من حققها بعمله .

بحق أقول لكم : لو وجدتم سراجا يتوقّد بالقطران فى ليلة مظلمة ، لاستضأتم بنوره ولم يمنعكم منه نتن قطرانه ، فكذلك ينبغى لكم أن تأخذوا الحكمة ممن وجدتموها عنده .

● قيل : إن عيسى عليه السلام خرج على أصحابه وعليه جبّة من صوف ، وكساء وتبان[٨] ، حافيا ، مجزوز الرأس والشاربين ، باكيا ، شعثا ، مصفر اللون من الجوع ، يابس الشفتين من العطش ، طويل شعر الصدر والذراعين والساقين ، فقال : السلام عليكم يابنى إسرائيل ، أنا الذى أنزلت الدنيا منزلها ، ولاعجب ولافخر ، أتدرون أين بيتى ؟ قالوا : أين بيتك ياروح الله ؟ قال : بيتى المساجد ، وطيبى الماء ، وإدامى الجوع ، ودابتى رجلى ، وسراجى بالليل القمر ، وصلائى[٩] فى الشتاء مشارق الشمس ، وطعامى ماتيسر ، وفاكهتى وريحانى بقول الأرض ، ولباسى الصوف ، وشعارى الخوف ، وجلسائى الزمنى والمساكين ، أصبح وليس لى شىء وأمسى وليس لى شىء ، وأنا طيب النفس ، غنى مكثر ، فمن أغنى وأريح منى ؟ !

● قال له رجل من الحواريين : أتبعك حيث ذهبت ، فقال له عيسى : للثعالب جحرة[١٠] ، ولطير السماء كنان ، وليس لابن الإنسان مكان يُسند فيه رأسه .

---

(٨) التبان : سراويل صغيرة يكون للملاحين والمصارعين « شورت »

(٩) الصلاء : الوقود أو النار العظيمة .

(١٠) جحرة : بكسر الجيم وفتح الحاء جمع جحر بضم الجيم وسكون الحاء وهو مايحتفره الحيوان لنفسه .

● لاتجعلوا كنوزكم فى الأرض يفسدها السوس والدود وحيث ينقب السراق ، ولكن اجعلوا كنوزكم فى السماء ، فإنه حيث تكون كنوزكم تكون قلوبكم .

● إن العين هى سراج الجسد ، فإذا كانت عينك صحيحة فإن جسدك كله مضىء .

● إنه لايستطيع أحد أن يعمل لربَّين اثنين إلا أن يحبَّ أحدهما ويُبغض الآخر ، ويوقّر أحدهما ويهين الآخر ، فكذلك لاتستطيعون أن تعملوا لله والمال .

● لايهمنكم ماتأكلون وماتشربون وماتلبسون ، أليست النفس أفضل من الطعام ؟ والجسد أفضل من اللباس ؟

انظروا إلى طيور السماء ، فإنهنّ لايزرعن ولايحصدن ولايجمعن فى الأهراء[11] ، وأبوكم الذى فى السماء هو الذى يرزقهنّ ، أفلستم أفضل منهن ؟ ؟

● أيكم الذى إذا جهد قدر أن يزيد فى طوله ذراعًا واحدا ؟ ! فلم تهتمون باللباس ؟ اعتبروا بسوس البرية[12] ، فإنه لايعمل ولايغزل ، أنا أقول : إن سليمان بوقاره لم يستطع أن يلبس كواحدة منه . فإذا كان الله يلبس عشب الأرض الذى ينبت اليوم ويلق فى النار غدا ، أفلستم ياقليلى الإيمان أفضل منه ؟ !

● لاتهتموا فتقولوا : ماذا نأكل ؟ وماذا نشرب ؟ وماذا نلبس ؟ فإنه إنما يهتمّ بذلك ابن الدنيا ، وإن أباكم الذى فى السماء يعلم أن ذلك ينبغى لكم ،

(١١) الأهراء : مخازن الطعام .

(١٢) فى الإنجيل . زنابق الحقل .

فابدءوا فالتمسوا ملكوت الله وصدّيقيته[١٣] ، فإنكم سوف تكفون ، ولايهمنكم مافى غد ، فإنّ غدًا مكتفٍ بهمّه ، وحسب اليوم شره .

● كما تدينون تدانون ، وبالمكيال الذى تكيلون يكال لكم .

● كيف تبصر القذاة فى عين أخيك ، ولاتبصر السارية فى عينك ؟ !

● لاتعطوا الكلاب القدس ، ولاتلقوا لؤلؤكم للخنازير ، سلوا تعطوا ، وابتغوا تجدوا ، واستفتحوا يفتح لكم ، وانظروا الذى تحبون أن يأتى الناس إليكم فأتوا إليهم مثله .

● ادخلوا الباب الضيق ، فإن الباب والطريق إلى الهلكة عريضان ، والذين يسلكونهما كثير ، ومأأضيق الباب والطريق اللذين يبلغان إلى الحياة ! ! والذين يسلكونهما قليل[١٤] ! !

● الدنيا قنطرة فاعبروها ولاتعمروها .

● أنا الذى كفأت الدنيا على وجهها ، فليست لى زوجة تموت ، ولابيت يخرب !

● قال له رجل من الحواريين : أتأذن لى أن أدفن أبى ؟ فقال له : دع الموتى يدفنون موتاهم ، واتبعنى .

● خرج المسيح من بيت امرأة مومس ، فقيل له : ياروح الله ، ماتصنع عند هذه ! فقال : إنما يأتى الطبيب إلى المرضى .

---

(١٣) الصديقية : درجة أعلى من الولاية وأقل من النبوة .

(١٤) الباب الضيق : باب الخلاص والنجاة والمراد أن طريق الحق مفروش بالآلام والأشواك ، وأن باب النجاة ضيق لاينفذ منه إلا من خفف من أحماله ، وأهزل نفسه ، حتى يستطيع ولوج هذا الباب ، وهذا يماثل الحديث النبوى الشريف « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » .

● النظر يزرع فى القلب الشهوة ، وكفى بها خطيئة[١٥] .

● سأل الحواريون عيسى عليه السلام فقالوا : ياروح الله ، من هم أولياء الله ؟ فقال : هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها ، وإلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها ، فأماتوا منها ماخشوا أن يميتهم ، وتركوا منها ماعلموا أن سيتركهم ، فصار استكثارهم منها استقلالا ، وفرحهم بما أصابوا منها حزنا ، فما عارضهم من نائلها رفضوه ، وماعارضهم من رفيعها بغير الحق وضعوه ، فهم أعداء ماسالم الناس ، وسلم ما عادوا ، خلُقت[١٦] الدنيا عندهم ، فليس يعمرونها ، وماتت فى قلوبهم فليس يحبونها ، يهدمونها ويبنون بها آخرتهم ، ويبيعونها ويشترون بها ما يبقى لهم . ونظروا إلى أهلها صرعى قد خلت منهم المثلات[١٧] فأحيوا ذكر الموت ، وأماتوا ذكرى الحياة . بهم نطق الكتاب ، وبه نطقوا ، وبهم عُلم الكتاب ، وبه عملوا . لايرون نائلا[١٨] مع مانالوا ، ولا أمنا دون مايرجون ، ولاخوفا دون مايحذرون .

● جاء فى إنجيل متى : سمعتم أنه قيل : عين بعين ، وسنّ بسنّ ، وأما أنا فأقول لكم : لاتقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدّك الأيمن فحوّل له الآخر أيضا . ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا .

● سمعتم أنه قيل : تحبّ قريبك ، وتبغض عدوّك ، وأما أنا فأقول لكم :

---

(١٥) يقول الرسول ﷺ « العينان تزنيان ، وزناهما النظر » .

(١٦) خلقت : بليت .

(١٧) المثلات : جمع مثلة بفتح الميم وضم الثاء فيهما ، والمثلة الحدث الذى يقع فيكون مثلا مضروبا ، ويغلب أن يكون ذلك فى الأمور السيئة .

(١٨) النائل والنوال : العطاء .

أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا من أجل الذين يسيئون إليكم ويضطهدونكم[١٩] .

(١٩) وهذا هو الأقنوم الحق الذى ينبغى للمسيحية أن تتمسك به ، فالمسيح عليه السلام لم يأت بلاهوت جديد ، وكانت دعوة جميع الأنبياء أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره ، وإنما جاء بأقنوم المحبة ، وجعلها للقريب والغريب والصديق والعدو على السواء ، وكان يخاطب قوما يبست مشاعرهم وجفت قلوبهم وقست ، فهى كالحجارة أو أشد قسوة ، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله ، والمحبة أيضا مبدأ من مبادئ الإسلام ، يقول تبارك وتعالى (ولاتستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم . ومايلقاها إلا الذين صبروا ومايلقاها إلا ذو حظ عظيم) ولله درّ ابن عربى حيث يقول :

لقد صار قلبى قابلا كل صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ... ركائبه فالحب دينى وإيمانى

محمد ﷺ

محمد ﷺ خاتم الرسل والأنبياء ، المبعوث رحمة للعالمين ، والذى أثنى عليه ربه بقوله تعالى : (وإنك لعلى خلق عظيم) .

قال الجاحظ فى كتابه « البيان والتبيين » يصف كلامه ﷺ :

« وهو الكلام الذى قلّ عدد حروفه ، وكثرت معانيه ، وجلّ عن الصنعة ، ونزّه عن التكلّف ، وكان كما قال الله تبارك وتعالى (وماأنا من المتكلفين) فكيف وقد عاب التشديق[1] ، وجانب أصحاب التقعيب[2] ، واستعمل المبسوط فى موضع البسط ، والمقصور فى موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشى ، ورغب عن الهجين السوقى ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفّ بالعصمة ، وشُيّد بالتأييد ، ويُسّر بالتوفيق . وهو الكلام الذى ألقى الله عليه المحبة ، وغشّاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الإفهام ، وقلّة عدد الكلام ، مع استغنائه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى معاودته ، لم تسقط له كلمة ، ولازلّت به قدم ، ولابارت له حجّة ، ولم يقم له خصم ، ولاأفحمه خطيب ، بل يبذ الخطب الطوال بالكلم القصار ، ولايلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولايحتجّ إلا

---

(١) التشديق والتشدق : إخراج الكلام من جانب الفم .

(٢) التقعيب والتقعير : أن يتكلم بأقصى قعر فمه .

بالصدق ، ولايطلب الفلج[٣] إلا بالحق ، ولايستعين بالخلابة[٤] ؛ ولايستعمل المواربة ، ولايهمز ولايلمز[٥] ، ولايبطئ ولايعجل ، ولايسهب ولايحصر[٦] ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ، ولاأقصد لفظا ، ولا أعدل وزنا ، ولاأجمل مذهبا ، ولا أكرم مطلبا ، ولاأحسن موقعا ، ولاأسهل مخرجا ، ولا أفصح معنى ، ولا أبين فى فحوى[٧] من كلامه ﷺ » .

ويقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعى عن بلاغة الرسول عليه السلام :

« هذه هى البلاغة الإنسانية التى سجدت الأفكار لآيتها ، وحسرت العقول دون غايتها ، لم تصنع وهى من الإحكام كأنها مصنوعة ، ولم يتكلف لها وهى على السهولة بعيدة ممنوعة .

ألفاظ النبوة ، يعمرها قلب متصل بجلال خالقه ، ويصقلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه ، محكمة الفصول حتى ليس فيها عروة مفصولة ، محذوفة الفضول حتى ليس فيها كلمة مفضولة ، وكأنما هى فى اختصارها وإفادتها نبض يتكلم ، وإنما هى فى سموّها وإجادتها مظهر من خواطره صلى الله عليه وسلم .

إن خرجت فى الموعظة فهى أنين من فؤاد مجروح ، وإن راعت بالحكمة قلت صورة إنسانية من الروح ، فى منزع يلين فينفر الدموع ، ويشتدّ فينزو بالدماء .

وإذا أراك القرآن أنه خطاب السماء للأرض ، أراك كلامه ﷺ أنه خطاب الأرض للسماء .

---

(٣) الفلج : الفوز والظفر .

(٤) الخلابة : بكسر الخاء الخديعة باللسان .

(٥) الهمز واللمز : العيب بالإشارة .

(٦) الحصر : بفتح الحاء والصاد العىّ فى الكلام .

(٧) الفحوى : المعنى .

على أنه سواء فى سهولة أطماعه ، وصعوبة امتناعه ، إن أخذ أبلغ الناس فى ناحيته ، لم يأخذ بناصيته ، وإن نظر فيه بلا بصر صار مبصرا ، وإن جرى فى معارضته انتهى مقصرا » .

ونتوج كتابنا هذا بشىء من درر كلامه وبليغ حكمته :

قال ﷺ :

- أدّبنى ربى فأحسن تأديبى .
- بعثت لأتمم مكارم الأخلاق .
- لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه .
- إن لكل دين خلقا ، وخلق الإسلام الحياء .
- المؤمن للمؤمن كالبنيان ، يشد بعضه بعضا .
- طوبى لمن طاب كسبه ، وصلحت سريرته ، وكرمت علانيته ، وعزل عن الناس شره ، طوبى لمن عمل بعلمه ، وأنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله [٨] .
- طوبى للمخلصين ، أولئك مصابيح الهدى ، تنجلى عنهم كل فتنة ظلماء .
- إن هذا الخير خزائن ، ولتلك الخزائن مفاتيح ، فطوبى لعبد جعله الله عز وجل مفتاحا للخير ، مغلاقا للشر ، وويل لعبد جعله الله مفتاحا للشر ، مغلاقا للخير .
- أثقل مايوضع فى الميزان الخلق الحسن .

---

(٨) تأمل فى هذه الحكم السبع تجدها قد جمعت مكارم الأخلاق فى أوجز لفظ ، وفى أصغر بيان ، وكل كلامه عليه السلام حكم ودرر .

● مثل المؤمن مثل النحلة ؛ إن أكلتْ أكلت طيبا ، وإن وضعتْ وضعتْ طيبا ، وإن وقفت على عود نخر لم تكسره .

ومثل المؤمن مثل سبيكة الذهب ، إن نفخت عليها احمرَّت ، وإن وزِنَتْ لم تنقص .

● رحم الله عبدا قال خيرا فغنم ، أوسكت فسلم .

● المرء كثير بأخيه .

● لاتزال أمتى صالحا أمرها ، مالم تر الأمانة مغنما ، والصدقة مغرما .

● إن أحبكم إلىّ ، وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقا ، الموطأون أكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون .

● لاعقل كالتدبير ، ولاورع كالكف ، ولاحسب كحسن الخلق .

● أكثر ذكر الموت يُسْلكَ عن الدنيا ، وعليك بالشكر ، فإنه يزيد النعمة .

● قيدوا العلم بالكتاب .

● لاتغالوا بالنساء ، فإنهن سقيا الله .

● ارحموا عزيز قوم ذل ، ارحموا عالما ضاع بين جهال .

● الأحمق كالفخار ، لايرقع ولايشعب .

● إن الحكمة تزيد الشريف شرفا ، وترفع العبد المملوك ، حتى تجلسه مجالس الملوك .

● أحب العفاف إلى الله عفاف الفرج والبطن .

● الحياء لايأتى إلا بخير .

● حسن الخلق وحسن الجوار ، يعمران الديار ، ويزيدان فى الأعمار .

● خير من الخير معطيه ، وشر من الشر فاعله .

● زرغبا ، تزدد حبا .

● رحم الله رجلا سمحا إذا باع ، وإذا اشترى ، وإذا اقتضى .

● طاعة الشهوة داء ، وعصيانها دواء .

● عليكم بإخوان الصدق ، فإنهم زينة فى الرخاء ، وعصمة فى البلاء .

● الكيّس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأمانى .

● لسان العاقل من وراء قلبه ، فإذا أراد الكلام رجع إلى قلبه ، فإن كان له تكلم ، وإن كان عليه أمسك . وقلب الجاهل من وراء لسانه ، يتكلم بكل ماعرض له .

● ليس الغنى عن كثرة العرض[٩] ، ولكن الغنى غنى النفس .

● لولا أن الله أذل ابن آدم بثلاث ماطأطأ رأسه : الفقر والمرض والموت .

● من أصبح معافى فى بدنه ، آمنا فى سربه[١٠] ، وعنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها .

● من حسن إسلام المرء تركه مالايعنيه .

● المؤمن غر كريم ، والفاجر خب لئيم[١١] .

● نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ .

● خذ من شبابك لهرمك ، ومن غناك لفقرك ، ومن صحتك لسقمك .

● البر ما اطمأنت إليه النفس ، والإثم ماحاك فى الصدر ، وخشيت أن يطلع عليه الناس .

---

(٩) العرض : متاع الدنيا .

(١٠) سربه : نفسه .

(١١) غر : ينخدع لأنه سهل لين ، خب : مخادع .

● خاب عبد وخسر ، لم يجعل الله فى قلبه رحمة البشر .

● تعس عبد الدينار وعبد الدرهم ، تعس ولاانتعش ، وإذا شيك فلا انتقش [١٢] .

● ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه .

● إن الصدق يهدى إلى البر ، والبر يهدى إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وإن الكذب يهدى إلى الفجور ، والفجور يهدى إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا .

● أيها الناس : إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد .

● كرم الرجل دينه ، ومروءته عقله ، وحسبه خلقه .

● ما أخلص عبد العمل لله أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه .

● من أسرع به عمله لم يبطئ به حسبه ، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به حسبه .

● الصاحب رقعة فى الثوب ، فلينظر الإنسان بم يرقع ثوبه .

● حصنوا أموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاكم بالصدقة ، واستقبلوا البلاء بالدعاء .

● أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات

---

(١٢) شيك : أصابته شوكة . انتقش : خرجت شوكته بالمنقاش ، وهذا دعاء من الرسول على عبيد المال بالتعاسة والشقاء .

ماتقولون : يبقى ذلك من درنه شيئا ؟ قالوا : لايبقى ذلك من درنه شيئا ، قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا .

صلى عليك الله يا رسول الله ، يامن شهد بفضلك العدو قبل الصديق ، ولعل من الموافقات العجيبة ، وأنا أفكر فى وضع خاتمة لهذا الفصل الذى هو خاتمة الكتاب أن تكون أمامى الآن صحيفة الأخبار بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٧٨ ، وأن أقرأ فى صفحتها الأولى هذا الخبر المنشور تحت عنوان : مؤرخ أمريكى يؤكد : النبى محمد أعظم شخصية فى التاريخ يقول الخبر : أكد المؤرخ الأمريكى مايكل هارت الأستاذ بجامعة تريتيش تكساس أن النبى محمدا عليه الصلاة والسلام أعظم شخصية فى التاريخ . وقد أعدّ فى كتابه الذى أثار ضجة قائمة بأسماء مائة شخص هم أبرز من تركوا بصماتهم على التاريخ . وقد اختار المؤرخ الأمريكى النبى محمدا عليه الصلاة والسلام على رأس القائمة ، نظرًا للتأثير الدينى والزمنى للدين الإسلامى[١٣] »

وليس الأستاذ مايكل هارت وحده هو الذى أدلى بمثل هذه الشهادة ، فقد سبقه كثير من المستشرقين المنصفين الذين صدعوا بكلمة الحق ، نذكر منهم هنا البروفيسور ستوبارت الذى قال :

« إنه لايوجد مثال واحد فى التاريخ الإنسانى بأكمله يقارب شخصية محمد . ألا ما أقل ماامتلكه من الوسائل المادية ! وما أعظم ماجاء به من البطولات النادرة ، ولو أننا درسنا التاريخ من هذه الناحية ، فلن نجد فيه اسما منيرا هذا النور ، وواضحا هذا الوضوح غير اسم النبى العربى » .

---

(١٣) وهذا الكتاب تنشره الآن مجلة أكتوبر على حلقات أسبوعية بقلم الكاتب القدير الأستاذ أنيس منصور .

ويقول البروفيسور بورسورث سميث :

« عندما ألقى نظرة إجمالية أستعرض فيها صفاته وبطولاته ، ماكان منها فى بدء نبوته ، وماحدث منها فيما بعد ، وعندما أرى أصحابه الذين نفخ فيهم روح الحياة ، وكم من البطولات المعجزة أحدثوا – أجده أقدس الناس ، وأعلاهم مرتبة ، حتى إن الإنسانية لم تعرف له مثيلا » .

ويقول أيضا :

« لقد ادعى محمد لنفسه فى آخر حياته نفس ماادعاه فى بداية رسالته [١٤] ، وإنى لأجدنى مدفوعا إلى الاعتقاد بأن كلا من الفلسفة العليا والمسيحية الصادقة سوف تضطران يومًا ما ، إلى التسليم بأنه كان نبيا . . نبيا صادقا من عند الله » وليس الرسول عليه الصلاة والسلام فى حاجة إلى شهادة بشر ، وشهادة الله خير شهادة ، وصدق قول ربنا جل جلاله : (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله شهيدا)

والحمد لله فى البدء والختام .

---

(١٤) النبى عليه الصلاة والسلام لم يدع لنفسه شيئا لافى آخر حياته ، ولافى بداية رسالته ، بل كان رسولا صادقا من عند الله وهذا ماأعترف به هذا المفكر فى ختام كلامه .

كتب للمؤلف

١ – أخميم فى عصور التاريخ – ١٩٥١

٢ – تاريخ إقليم سوهاج – ١٩٦٢

٣ – ذو النون المصرى . دار الشروق – ١٩٧٣

٤ – قال الأولون . دار الشروق – ١٩٧٦

٥ – عبد الكريم الخطيب والثقافة الإسلامية ، دار الفكر العربى – ١٩٧٨

٦ – قل يارب . دار الشروق – ١٩٧٩

رقم الإيداع	١٩٨١/٢٣٠٥
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧-٧٣٤٦-١٦-٦

١/٨٠/٣٢٤

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)